

خُطُوطٌ وَمَقَالَاتٌ

فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ

وَالْقِرَاءَةِ

بقلم

أَيُّوبُ بْنُ رَفِيقٍ عَوِينَتِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

توطئة

الحمد لله الذي أنزل علينا الكتاب، هدى وتبصرة لأولي الألباب، ونذارة وتخويفا للمكابرين من أهل الطغيان والفساد. والصلاة والسلام على من أرسله ربّه رحمة للعباد، سيّدنا محمد عليه وعلى آله وأصحابه أفضل صلاة وأزكى سلام.

أمّا بعد،

فإنّي قد لبثت من عمري زمناً؛ أسطرّ بقلمى ما يجول في الذّهن، أو تقتضيه حال الجواب عن سؤال قد ورد فألزمته، أو ما يدور في حال النقاش العلميّ ممّا يخطر بالبال فيُخشى من ذهابه بأفة النسيان. وكنت كثيراً ما أنشر ما سطرّته على صفحتي الفايسبوكيّة فأجد من الأحباب من أهل الدّراية التّصويب والتّشجيع والإعجاب.

فشجّعني بعض الأقارب من القلب من أولائكم الخلّان والأصحاب على أن أودع كلّ ذلك في كتاب. فشرعت في ذلكم الأمر مستعيناً بالملك الوهاب. فجمعت هذا المصنّف وعنوانته ب(خواطر ومقالات في علوم القرآن والقراءات)؛ أودعت فيه جملة من خواطري ومقالاتي المتعلّقة كلّها بالقرآن الكريم وعلومه وقراءاته وأعلامه. على أن تكون هذه الرّسالة هي الأولى في سلسلة هذا المصنّف؛ ساعياً أن أجمع في كلّ فترة جملة من الخواطر والمقالات أتمّ بها حلقة أخرى من حلقات هذه السّلسلة المباركة إن شاء الله.

هذا ما جادت به القريحة وجرى به القلم، فما كان منه من صواب فمن الله وحده، وما كان منه من خطأ أو سهو أو نسيان أو طغيان قلم فمنيّ ومن الشّيطان ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

دبّجه بيّراعه مرتجيا عفو مولاه العليّ

أيّوب بن رفيق عويتتي التّونسيّ

بمدينة دار شعبان الفهري / ولاية نابل

يوم 03 / 10 / 2016 م

(1)

الخطوط

إجازات القرآن بين شرف الاتّصال ووهم الاتقان

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أمّا بعد، فإنّ الله سبحانه وتعالى قد أكرم أمّتنا الإسلاميّة وجعلها خير أمة أخرجت للنّاس، وشرفها بأن أرسل إليها خير رسله، وأنزل عليها خير كتبه : القرآن العظيم، ويسّره للذاكرين، وتعبّدنا بتلاوته، وتدبّره، والعمل بأحكامه: بامثال أوامره، واجتناب نواهيه. فتلقّت الأمّة هذا الكتاب جيلا بعد جيل وسعت في خدمته والاحتفاء به، وبذلت في ذلك وسعها وطاقتها على مرّ العصور وتعاقب الدّهور.

وكان من مظاهر الاهتمام بهذا الكتاب: الاعتناء بتجويد حروفه وإقامتها، والسّعي في أدائها كما تُلقّيت عن الجيل الأوّل من الصّحابة الذين تلقّوا ذلك عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم. وقد بلغ من احتفاء الأمّة بهذا الكتاب ان أوّل علماءها وقراءها سلسلة الأداء القرآنيّ مكانتها اللّائقة بها وبوأوها المنزلة اللّازمة لها من غير افراط ولا تفريط.

لكنّا بُلينا في هذه الأعصار، بادّعاءات لفئام من الأغمار، في بعض الأمصار، توهّموا أنّ غاية الاتقان في أداء القرآن: إقامة الحروف وترديدها، وتطين الغنن وترقيقها أو تفخيمها، وتسوية المدود واجتناب تمويجها وترجييعها؛ وظنّوا أنّ نهاية التّحصيل في تعلّم القرآن الاندراج في سلسلة السّند النبويّ في الاجازة بالقراءة والإقراء. غافلين عن باقي المعارف القرآنيّة، والتّحليّ بالتّوجيهات الإلاهية، بل جاهلين ببدييات التّأصيل للقواعد القرائيّة والأدائيّة التي هم للوائها حاملون ولتدريسها ونشرها متصدّرون.

فتراهم يمضون سنين عددا في تحصيل تلك الورقة ظانّين أنّها السّبيل الأوحد لنيل شرف الانتساب لأهل القرآن. حتّى إذا ما حصّلوها قعدوا عن العلم والبحث والتّعلّم والاستزادة من بحر العلوم القرآنيّة وأصبح غاية اهتمامهم واعتنائهم تصحيح الأداء والتّصدّر للإقراء.

فيا ترى هل أنزل الكتاب على قلب الحبيب صلى الله عليه وسلم لمجرد قراءته وتقويم ألفاظه؟ أم هل كان حال أئمتنا المتقدمين وساداتنا الأعلام المقرئين كحال بعضنا اليوم من المبالغة في التجويد والترتيل والاعتناء "بالإجازة" والسند من غير اهتمام بالتكوين وملئ الوطاب من العلم والمعرفة؟ بل ماذا كانت تعني الإجازة والسند بالنسبة لهم؟ لم لم يكن اهتمامهم بها كاهتمامنا نحن اليوم؟ كل هذه الأسئلة وغيرها يطرحها ذهني وأنا اكتب هذا المقال بارتجال على عجل، ويضيق بها صدري ولا ينطلق بجوابها الآن لساني، فأرجئ ذلك الى مقالات أخرى، أو الى مؤلف أضمنه حديثاً أوسع في الموضوع وبسطة أشمل للمسألة. والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

دبّجه بيراغه مرتجلاً راجي عفو مولاه العليّ

أيوب بن رفيق عوينتي التونسيّ

بمدينة دار شعبان الفهري / ولاية نابل

يوم 22 / 08 / 2016 م

همم وهمم

مما استوقفني خلال تصفّحي للموسوعة التفسيرية الفذة - الهداية الى بلوغ النهاية - للامام مكّي بن أبي طالب القيسي القيرواني (توفي 437 هـ) قوله رحمه الله في المقدمة (ج 1 / ص 64): "جمعت أكثر هذا الكتاب من كتاب شيخنا أبي بكر الأدفوي - رحمه الله - وهو الكتاب المسمّى بكتاب الاستغناء المشتمل على نحو ثلاثمائة جزء في علوم القرآن. اقتضيت في هذا الكتاب نواتجه وغرائبه ومكنون علومه مع ما أضفت إلى ذلك من الكتاب الجامع في تفسير القرآن تأليف أبي جعفر الطبري وما تحيّرته من كتب أبي جعفر النحاس وكتاب أبي إسحاق الزجاج، وتفسير ابن عباس، وابن سلام. ومن كتاب الفراء، ومن غير ذلك من الكتب في علوم القرآن والتفسير والمعاني والغرائب والمشكل. انتخبته من نحو ألف جزء أو أكثر مؤلفة في علوم القرآن مشهورة مروية"

فشرّد ذهني متأملاً هذه العبارة العجيبة التي تصف لنا حال أئمتنا وحرصهم ودقّتهم في العلم وتبيين لنا أنّهم لم يقنعوا بها حفظوا ووعوا وفهموا بل كانوا دائمي النظر في المؤلفات والمراجعة للكتب والمصنّفات حرصاً على العلم واستزادة منه. وقلت في نفسي اين حالنا من حالهم؟ وهمتنا من همّتهم؟ فإنّ منتهى علم أحدنا ما جمعه في ملخصات وما حفظه من كلمات. كيف بنا ونحن ننتسب للقرآن لا نعلم هذه الكتب ولم تكتحل بها اعيننا؟ وهاهو امامنا مكّي القيسي لا يستنكف عن مراجعة ألف كتاب قبل تسطير تفسيره وهو من هو في العلوم القرآنية والمباحث اللغوية والقرائية؟ فبمثل هاذي المهمة المكيّة القيسيّة بلغوا ما بلغوا وخُلد ذكرهم مئات السنين ولا يزال ياذن من الله ذي الجلال...

بقلم أيّوب بن رفيق عويّتي

يوم الاربعاء 24 / 08 / 2016

غيث النّفع .. مجد منسيّ وعزّ مطويّ

كلّما كنت بمكتبتني وتوجّهت ببصري صوب كتاب "غيث النّفع في القراءات السّبع" للعلامة الامام المقرئ التّونسيّ سيّدي عليّ النّوريّ الصّفاقسيّ (ت 1118 هـ) رحمه الله إلّا وتملّكت القلب غمّة والنّفس حسرة لا ينطفئ ألمها ولا يذهب وقعها إلّا بعد مدّة من الزّمن ليست باليسيرة.

هذا الكتاب العجيب القيم لذلكم العالم التّونسيّ الفذّ: تصحّح وتراجع جُلّ المصاحف المتداولة في العالم الإسلاميّ من خلاله: في عدّ آيها وأرباعها وأحزابها ... الخ ، ولا ينفكّ طالب لعلم القراءات في قطر من أقطار المسلمين عن مراجعته والاستفادة من أنواره؛ يكون مصيره التّجاهل والنّسيان والتّرك والإهمال في بلاد مؤلّفه المعروفة بالعلماء والقراء، المرتفع مجدها التّليد بما كانت تبثّه من العلوم والمعارف "الزيتونة" حتّى بلغ عنان السّماء!!!!

هذا الكتاب الذي لولا ما فيه من التّحرير والتّدقيق والاتقان بتوفيق من المولى عزّ وجلّ لمؤلّفه لما بلغ ما بلغ من الشّأو والمنزلة عند العلماء والمقرئين في أقطار العالم من زمن تأليفه إلى وقتنا الحاضر (أي قرابة 320 سنة هجرية) يكون مصيره الإهمال والنّسيان عند المتصدّرين لتعليم القرآن وإقراءه بالبلاد التّونسيّة؟؟؟؟!!

هذا الكتاب الجليل القدر، العظيم النّفع، يذهب الطّالب الظّمآن للعلم والمعرفة ليطوف البلدان والمكتبات، فلا يجد إلّا طبعات تجارية له قد مسخت الكتاب مسخاً وأكل أصحابها باسم الامام سحتاً.

فيا غيورا على القرآن والعلم: عضّ بنواجذك على موروث أئمتك وآبائك واصدع ملئ فيك وقل:

أولائك آبائي فجئني بمثلهم*** إذا جمعنا (يا جهول) المجمع

كتبه بمداد الالم والحسرة والحرقة المفتقر إلى عفو مولاه الغنيّ

أيوب بن رفيق عوينتي التّونسيّ

دار شعبان الفهريّ / نابل

الخميس 25 / 08 / 2016م

من مظاهر رسوخ المدرسة التّونسيّة ودفاعها عن الحقائق العلميّة

لقد بُلينا في زماننا هذا بابتلاءات شتّى وفتن متنوّعة .. ومنها في مجال التّأصيل العلميّ لقواعد علم التّجويد: قلب الحقائق والمفاهيم والمصطلحات !!! وللنضرب مثالا على ذلك ما يُسمّى اليوم "بالّتعطيش" والمقصود به -عند القائلين به- أنّ الجيم الصّحيحة لا تخرج إلّا ممزوجة بصويت الدّالّ !!! وهذا القول الشّنيع قد كان للمدرسة التّونسيّة شرف التّنبيه عليه وبيان خطئه ومجانبته للصّواب فقد قال الإمام محمّد بن يالوشة في شرحه على الجزريّة والمسمّى: "الفوائد المفهّمة" : " وكذلك سمعنا كثيرا من معاصرينا يخرجها ممزوجة بالدّالّ وهو خطأ بيّن، وكان شيخ شيخنا محمّد بن رايّس رحمه الله يسمّيه بالّتعطيش ويحذّر الطّلبة منه "

وهذا الذي ذكره -أيّ التّعطيش- قد أصبح اليوم يؤمّر به عند بعض المقرّئين بل يعتبرونه من الصّفات الواجبة في الجيم، وهو خطأ من وجهين:

1 - عدم وجود التّعطيش أو الإشارة إليه في كتب أئمّتنا الأوائل الذين ألفوا في هذا العلم، ودوننا كتبهم قد طُبِعَ مُعظمها.

2 - أنّ القول بأنّ صوت الجيم يخرج بمزج صوتها بالدّالّ هو خطأ علميّ ومنطقيّ = فأما المنطقيّ: فمن المحال أن تكون النّتيجة سببا لاستنتاجها، وأما العلميّ: فهو أنّ الجيم حرف أصليّ أي تختصّ بصوت مميّز عن باقي الأحرف الأصليّة فلا يمكن أن يكون صوتها هذا ناتجا عن مزج لصوتين، وإنّما يكون ذلك في الحروف الفرعيّة لا الأصليّة.

هذا وقد نظم الإمام أبي زيد عبد الرّحمن بن القاضي (ت 1082 هـ) أبياتا يُفند فيها هذا القول ويبيّن النّطق السّليم للجيم:

فمخرج الجيم بلا امتراء
مما يلي الحنك الاعلى قد جرى
حافظ على شدتها والجهر
وهو مجهور شديد مستفل
فيجب النطق لكل تال
وذاك مذهب الإمام الداني
متفق عليه عند العلماء
فلا تجوز عندنا الرواية
والنص في الأماني والأهواز
والنص موجود لدى كتب الأدا
ومن يمل بصوته للدال
فاحذر صوت الدال عند النطق
إياك إياك صوت الدال
ومن يقل بذاك فهو باطل
فداخل في آية العمران
فتجب التوبة مما قد فعل
وهكذا جرى إلينا بالسند

من وسط اللسان للقراء
فذاك حقاً مخرجه بلا امتراء
فإن تكررت تأكد فادر
منفتح منصمت حتما نقل
مباينا به لحرف الدال
وسيبويه صاحب البيان
شرقا وغربا هكذا النص انما
بغير ذاك قل ولا الدراية
وفي الجاز قل بلا مجاز
وكلهم قد بينوه مرشدا
فذاك مخبول من الجهال
بالجيم في الأدا تفز بالحق
فهو مخالف لكل تال
مخالف للحق قول جاهل
كذاك في اليقطين بالبيان
لأنه مخالف لما نزل
عن خير مهتد هديت للرشد

كتبه / أيوب بن رفيق عويتتي

دار شعبان الفهري - نابل

26/08/2016

من أعلام الاقراء بالمدرسة التونسية (1)

الإمام أبو الحسن عليّ بن عبد الغنيّ الحصريّ القيروانيّ (ت 488 هـ)

أنّه لمن دواعي الفخر والفرح ومما تشدّ به الهمم النّظر في سير الأسالف المتقدّمين الذين كان على أيديهم بناء مدرستنا التّونسيّة باختياراتها وخصوصيّاتها، والذين لا يمكن للإنسان إلّا ان يديم ذكرهم والتّعريف بهم وبمآثرهم.

ومن بين هؤلاء الاعلام امام قد كان له أثر واضح وبيّن في تركيز معالم المدرسة التّونسيّة في الاقراء وخاصة بقراءة الامام نافع (بروايتي قالون وورش)، هذه القراءة المدنيّة التي انتشرت في تونس وباقي أقطار الغرب الإسلامي لا شيء إلّا لأنّها قراءة أهل المدينة على ساكنها أزكى صلاة وأتمّ تسليم ؛ ولم يكن هذا إلّا لفرط حبّهم -أي أهل الغرب الاسلامي- للمدينة وساكنها صلّة الله عليه وسلّم.

لقد كانت نشأة الإمام الحصريّ القيروانيّة سببا من أهمّ أسباب توجّهه العلميّ واعتناؤه بالقرآن حفظا وتجويدا منذ نعومة أظفاره وذلك لما عرف عن تلكم العاصمة الاسلاميّة من سنن في تعليم الصّبيان القرآن منذ سنواتهم الأولى. وقد ارتقى في درجات العلوم والمعارف الى ان غدا مدرّسا ومقرّئا بجامع القيروان .

ثمّ كان انتقاله الى مدينة سبتة -بسبب الزحف الهلالي على تونس- سببا لاشعاعه على المدرسة المغربيّة واستفادته وافادته لها حيث اضطلع منذ وصوله اليها بمهمّة التدريس والاقراء وذلك لما عُرفت مكانته وتبحّره في العلوم والمعارف.

واستمرّ الامام الحصريّ معلّما ومدرّسا ومقرّئا الى ان اضطرّ للانتقال الى طنجة سنة 483 هـ ومكث بها الى ان توفّي سنة 488 هـ .

لقد توفّي الامام الحصريّ تاركا وراءه قصيدة عصماء في قراءة نافع سارت بها الرّكبان ولازال النّاس يستفيدون منها الى الآن. وأنّى كلّما فتحتها مطالعا او استحضرت أبياتها مذكرا وقفت واجما أمام قوله في مقدّماتها:

أُعلِّم في شعري قراءة نافع***رواية ورش ثم قالون في الإثر
وأذكر أشياخي الذين قرأتها***عليهم فأبدا بالإمام أبي بكر
قرأت عليه السبع تسعين ختمة***بدأت ابن عشر وأتممت في عشر
ولم يكفني حتى قرأت على أبي***علي ابن حمدون جلولينا الحبر
وعبد العزيز المقرئ ابن محمد***أثير ابن سفيان وتلميذه البكري
أئمة مصري كنت أقرأ مدة***عليهم ولكنني اقتصرت على القصري
فأجلسني في جامع القيروان عن *** شهادته لي بالتقدم في عصري
وكم لي من شيخ جليل وإنما***ذكرت درارياً تضيء لمن يسري
خذوا عن فمي علم الكتاب بقوة***ولا تصلوني عن ايادي بالشكر
ولكن بإخلاص الدعاء فربما***جبرت بكم إنى فقير إلى الجبر
هذه الابيات الماتعة الرائقة من القصيدة الحصريّة في قراءة نافع أكثر ما يشدني فيها امران:
الأول: أنّه -أي الامام الحصري- قد قرا على شيخه أبي بكر المعروف بالقصري القراءات السبع في
تسعين ختمة على مدة عشر سنوات !!! وهو ما يُبرز لنا مكانة هذا الامام في العلم وإنّ قدمه راسخة
فيه وكذلك نستشف من خلاله همته العالية في الطلب.

الثاني: أنّ الإمام الحصري لم يخرج من القيروان طالبا للعلم بل تمكّن وتعلّم وقرأ على علماء ومقرئي
بلده وحسب، بل وجلس للإقراء والتدريس بأمر شيخه وفي حياته = وهذا يبيّن لنا أنّ علم القراءات
كان منتشرا في البلاد التونسية عموما ومنطقة القيروان خصوصا في ذلك العصر .
فيا أيها الطالب المحبّ لبلاده الغيور عليها احرص جهدك لان تعيد لها امجادها ودونك سير آباءك
من الأئمة المقرئين تنير لك الطريق وتضيء لك السبيل.

كتبه مرتجلا / أيوب بن رفيق عويّتي

دار شعبان الفهري / نابل

28 / 08 / 2016

من أعلام الإقراء بالمدرسة التّونسيّة (2)

الإمام محمّد بن سفيان القيروانيّ (ت 415 هـ)

إنّ الحديث عن مآثر المدرسة التّونسيّة في الإقراء والتّحدّث عن أعلامها وأئمّتها يطول بمتتبّعه عن الحصر ويضيق بذكره الشّعور والنّثر.. لكنّ حسبنا ان نذكر لمحات وإشارات في هذه المنشورات علّها ان تشجّد الهمم لنفض الغبار عن تراث أئمّتنا وكتبهم المخطوطة والمطبوعة. إنّ من بين الأئمّة الأعلام في العلوم القرائيّة رواية ودراية الإمام التّونسيّ القيروانيّ أبو عبد الله، محمّد بن سفيان القيروانيّ هذا الامام ذو النّشأة العلميّة القيروانيّة الذي قد جمع مع الرّحلة خارج بلده - حيث قرأ على الامام المقرئ الكبير أبي الطّيب عبد المنعم بن غلبون بمصر - النّهل من علماء بلده في القراءات والفقه وغيرهما كالامام ابي الحسن القابسي وابن خيرون وغيرهما. ومما يبين عن مكانته ويفصح عن منزلته منافسته للإمام الكبير المقرئ أبي عمرو الدّانيّ في الطّلب حتّى قال الامام الدّانيّ: "وسمع معنا على الشّيوخ وكان ذا فهم وحفظ وعفاف".

حجّ الامام ابن سفيان حجّته الاخيرة سنة 415 هـ وقصد المدينة النّبويّة ليلفظ آخر أنفاسه بها ويُدفن بالبقيع بجوار العلماء والصلحاء والصّحابة الأجلّاء.

رحل الإمام ابن سفيان منذ ما يزيد عن 1000 سنة هجريّة تاركا وراءه سيرة عطرة ومصنّفات طبّقت شهرتها الآفاق لعلّ من أبرزها "الهادي في القراءات السّبع" الذي ضمّنه ما قرأ به على شيخه ابن غلبون وغيره مع التّنقيح والتّحرير والتّدقيق فلا غرو اذن أن يكون كتابه هذا أصلا من الأصول الّتي استقى منها الامام ابن الجزريّ كتابه النّشر.

ملاحظة: كتاب الهادي لابن سفيان قد حُقّق من طرف الاستاذ المقرئ خالد حسن أبو الجود وطبع

في دار ابن حزم سنة 2011م

بقلم / أيّوب بن رفيق عويّتي

دار شعبان الفهري / نابل

28 / 08 / 2016 - 22:04

من أعلام الاقراء بالمدرسة التّونسيّة (3)

الإمام محمّد بن عمر بن خيرون المعافري (ت 306 هـ)

لقد تميّزت المدرسة التّونسيّة بنبوغ أعلام هم نجوم القراءة والاقراء فيها وعلى أيديهم تأسست اختيارات المدرسة التّونسيّة في القراءة والاقراء وتشكّلت ملامحها عبر العصور.

ومن بين هؤلاء الاعلام والأنجم إمام قد كان له الفضل في ترسيخ قراءة نافع برواية ورش في البلاد التّونسيّة بعهد أن كان قراءها لا يقرؤون إلا على قراءة حمزة بن حبيب الزّيّات، هذا الإمام الأندلسيّ الأصل والولادة التّونسيّ من حيث الإقامة والوفاة والإفاده = كان حلوله بالقيروان في أواسط القرن الثالث الهجريّ بغرض التّجارة بعد رحلته الى العراق ومصر حيث قرأ الحديث والقراءات.

ولما اشتهر وذاع صيته في الأداء وإجادة الاقراء قصدته الطّلبة من جميع الأصقاع ومختلف البقاع حتّى غدا إمام الاقراء بالقيروان وعلى يده ترسّخت قراءة أهل المدينة بها.

توفيّ الامام ابن خيرون بسوسة سنة 306 على المشهور من أقوال المؤرّخين، تاركا جميل الأثر من ترسيخ ونشر لقراءة متواترة للقرآن الكريم لا تزال هي المعتمدة في قطرنا التّونسيّ الى اليوم = فما من قارئ يقرأ بحرف نافع الا ولا ابن خيرون باذن الله أجر وله من عند المولى تكربة وفضل.

كما كان له بعض مشاركة في التّصنيف فألف بعض الكتب لكنّها في عداد المفقود والله الأمر من قبل ومن بعد.

ولما منّ المولى سبحانه وتعالى على الامام بسعة في الرّزق بناء تجارته والمباركة فيها فقد سعى لاستغلالها في ما يبقى له أجرا وذخرا إلى يوم القيامة = فابتنى مسجدا جميلا لا يزال شاهدا على أثره الطّيّب إلى يومنا هذا

رحم الله الامام ابن خيرون رحمة واسعة ويسّر لنا تعلّم كتابه وتعليمه والعمل به أنّه سميع مجيب

كتبه / أيّوب بن رفيق عويّتي

دار شعبان الفهري / نابل

30 / 08 / 2016 م

المدرسة القرائية التونسية واختياراتها: توصيف وتعريف

إنّ عراقة المدرسة التونسية في التاريخ وإشعاعها لما يربو على ألف وثلاثمائة سنة (1300) هجرية ليحول دون اختزاله تعريفاً وتوصيفاً في بضع أسطر؛ لكن حسبنا أن نذكر لمحا يستضيء بها الطالب النبیه والقارئ اللبيب.

لعلّ السّبر التاريخي لتأصل علم القراءات وجهود أقطابها وأعلامها في ترسيخ الاختيارات القرائية للمدرسة التونسية ليُمكننا من تقسيم هذه المدرسة إلى مرحلتين: المدرسة التونسية المتقدمة والمدرسة التونسية المتأخرة.

وإنّه من نافلة القول أن يكون الفيصل بين تلكم المرحلتين والحلقة الرابطة بين هاتين المدرستين = الإمام المقرئ سيدي عليّ النّوريّ الصّفاقسيّ (ت: 1118 هـ) الذي قيّضه المولى عزّ وجلّ في زمن كاد نجم المدرسة آيلاً للأفول فأحيى به معالم الأداء وأصول الاختيار في الإقراء.

ولعلّه من بديهيّات القول أنّ هذا الأمر لم يتمّ للإمام إلّا بجمعه -بالإضافة لما تلقّاه من العلوم القرائية في الجامع الأعظم- بين اختيارات المدارس المشرقية والمغربية وذلك بقراءته على الإمام محمّد الأفرانيّ السّوسيّ المغربيّ (ت 1081 هـ) الذي قرأ -أي الامام الأفراني- بدوره على مفخرة القراء بالمغرب الامام المقرئ سيدي عبد الرحمن بن القاضي (ت 1082 هـ) وشمس القراء بالمشرق الإمام سلطان المزاحيّ المصريّ (ت 1075 هـ).

إنّ سعة أفق الامام سيدي عليّ النّوريّ الصّفاقسيّ وجمعه لمختلف العلوم ولاختيارات معظم المدارس القرائية بالعالم الإسلاميّ آنذاك مكّنه من تشكيل ملامح المدرسة القرائية التونسية المتأخرة التي نسير في نهجها نحن اليوم. ثمّ إنّّه قد خلّد أصولها توثيقاً وكتابة في مصنّفه الماتع الذي طبّق بشهرته الآفاق وأخذ الجهل مسحاً بالسّوق والأعناق = "غيث النّفع في القراءات السّبع".

كتبه / أيّوب بن رفيق عويّتي

دار شعبان الفهريّ / نابل

21:30 - 2016 / 08 / 30 م

احتفاء المدرسة التونسية "المتأخرة" بالقراءات الثلاث المتممة للعشر

قد يُحْيَلُ لمتبّع حركة التأليف في القراءات من قبل أعلام المدرسة التونسية أنّه لم يكن لهم إهتمام بما عدى قراءات الأئمة البدور السبع المضمّنة قراءاتهم في الشّاطبيّة، وقد يظنّ الظّانّ أنّه لم يكن لهم شُفُوف لما سواها مما تواتر من قراءات الأئمة البدور (أبي جعفر ويعقوب وخلف في اختياره). لكنّ التّمحيص والتّتبّع الدّقيق لتراث مدرستنا العريقة وآثار أعلامها في القراءات يبيّن لنا أنّ هذا الظّنّ ماهو إلّا محض تخرّص وتوهّم؛ وحسبنا في بيان ذلك أن نعرّف بديوانين من مفاخر ما أنتجته أقلام أئمّتنا الأفاضل:

أمّا الكتاب الأوّل فهو تحفة البررة بقراءة الثلاثة المتّممين للعشرة للشيخ الامام محمّد مصطفى خوجة التّونسيّ الشّهير بقارة بطاق (ت 1197 هـ) وقد طُبِعَ الكتاب بتحقيق أستاذنا وشيخنا الدّكتور الهادي روشو حفظه الله وصدر عن دار ابن حزم سنة 2012 هـ في مجلّد ضخّم من 875 صفحة؛ منها ما يربو على 180 صفحة بين مقدّمات التّحقيق والتّقاريط، و60 صفحة للفهارس، فجاء متن الكتاب محقّقاً في 600 صفحة تقريباً !!! هذا وقد سار فيه مؤلّفه على نهج غيث النّفع للإمام الصّفاقسيّ فتحدّث عن قراءات الأئمة الثلاثة في كلّ ربع حزب، مستشهداً لكلّ كلمة من درّة ابن الجزريّ، مردفاً بذكر ممال ومدغم كلّ ربع، ذاكرًا في بداية كلّ سورة نزولها وبعض فضائلها وعدد حروفها وكلماتها وآياتها مفصّلاً حسب كلّ مدرسة من مدارس العدّ.

أمّا الكتاب الثّاني: فيمكن اعتباره موسوعة قرائيّة للقراءات الثلاث، ألا وهو كتاب "تزيين الغرّة بمحاسن الدّرة" للإمام أحمد برناز بن مصطفى التّونسيّ (ت 1138 هـ) وهذا الكتاب القيم الذي انتهج فيه مؤلّفه في القراءات الثلاث عرضاً وتبييناً نهج الإمام ابن غازي في كتابه "انشاد الشّريد" في السّبع إضافة إلى ما فيه من الغرر والفوائد النّفائس في القراءات والأداء واللغة وعلوم القرآن = لا يزال في غيابات المخطوطات وهو من محفوظات المكتبة الوطنيّة تحت رقم 14397. ويقع هذا المخطوط في ما يزيد عن 230 لوحة بمسطرة تساوي 22 سطراً. لعلّ الله ييسّر لنا شرف تحقيقه وإخراجه إلى عالم المطبوعات لتتمّ به الاستفادة.

كتبه/ أيّوب بن رفيق عويّتي دار شعبان الفهري - نابل 31/08/2016م

من أعلام الاقراء بالمدرسة التّونسيّة (4)

الامام أحمد بن عمار بن أبي العباس أحمد التّميمي المهدوي (توفي بعد 440 هـ)

لقد تركزت أسس المدرسة القرائيّة التّونسيّة على أعمدة وأسس ولبنات من أئمة كانوا نبراسا للطلّالين الرّاغبين في النّهل من بحور القرآن الكريم وعلومه فخلّد تاريخهم وعلمهم وسارت بذكرهم الرّكبان قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل.

ومن بين هؤلاء إمام مهديّ الأصل = من مدينة المهدية تلّكم المدينة السّاحليّة التّونسيّة السّاحرة، الضّاربة الجذور في الإسلام والعلم.

لم يرتحل الامام المهدوي من تونس حتّى ملأ وطابه من العلوم القرائيّة واللّغويّة والبلاغيّة والعقليّة فكان من أبرز أساتذته القطبان الظّاهران والعلمان الشّهيران: الامام محمّد بن سفيان القيروانيّ المقرئ والامام الفقه أبي الحسن القاسبيّ عليهما رحمة الله.

ثمّ يسّر الله سبحانه وتعالى الحجّ فلبّي نداء سيّدنا إبراهيم عليه السّلام: لبيك اللهمّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنّعمة لك والمملك، لا شريك لك. وفي رحلته تلك أفاد واستفاد وقرأ على جملة من مشايخ مكّة والحجاز. وفي حال عودته الى مسقط رأسه شاع صيته وذاع وصار مقصد الطلبة في مختلف الأصقاع وسائر البقاع. ثمّ انتقل في حدود سنة 430 إلى الأندلس فتصّر بها إلى ان اخترمته المنية سنة 440 هـ

وقد خلّف الامام المهدوي آثارا جليّة ومصنّفات مهمّة عظيمة لعلّي أفصل الحديث عنها في المقال القادم.

كتبه / أيّوب بن رفيق عويّتي

يوم 02/09/2016م

دار شعبان الفهري - نابل

من صور التباين بين المدرسة القرائية التونسية المتأخرة والمتقدمة

لقد ذكرت في منشور سابق أنّ المدرسة القرائية التونسية تنقسم إلى مدرستين: أولاهما المتقدمة وهي قيروانية بالأساس إذ أغلب أقطابها قيروانيون كالإمام مكّي بن أبي طالب القيسيّ والإمام الحصريّ، وأمّا الثانية فهي المدرسة المتأخرة والتي يمتدّ تاريخها من عصر الامام سيدي عليّ النوريّ الصفاقسيّ إلى وقتنا.

ولتبيّن الفرق بين المدرستين سنضرب مثالا على ذلك: مسألة أدائية تختلف فيها الأداء المنصوص (أي العضود بنصّ من أحد كتب القراءات المعتمدة) بين المدرستين = ألا وهي مسألة تفخيم الرّاء من كلمة (مريم)؛ فمنذ أن كان القول بترقيقها هو المشهور والمختار في المدرسة المتقدمة حتّى نصّ على ذلك الإمام مكّي بن أبي طالب في تبصرته والإمام الحصريّ في قصيدته حيث يقول:

وإن سكنت والياء بعد كمرم *** فرقق وخطئ من يُفخّم بالقهر

نجد القول بتفخيمها - وهو الرّاجح المعمول به الذي لا نقرأ بخلافه الآن - واختيار ذلكم الأداء هو المعمول به والمعوّل عليه في المدرسة القرائية التونسية المتأخرة.

وقد أثبت هذا الأمر الإمام سيدي عليّ النوريّ الصفاقسيّ في كتابه غيث النّفع اذ يقول (ص 468):
" (مريم): الذي عليه جمهور المحققين، وعليه العمل في سائر الأقطار، وهو القياس الصّحيح - وغلط الدّائيّ من قال بخلافه - تفخيم الرّاء. وذهب مكّي والمهدوي وابن شريح والأهوازي وغيرهم إلى التّريق. وذهب ابن بليمة وغيره إلى التّفصيل؛ فيأخذون بالتّريق من طريق الأزرق وبالتّفخيم لغيره...".

كانت هذه الأسطر إطلالة على أحد أوجه الخلاف داخل المدرسة التونسية في ثوبها المتقدّم والمتأخّر. يتبيّن بها القارئ والمتابع لهذه المقالات جوانب من تاريخ تأصل الأداء القرآني وتجذّر الاختيارات القرائية في البلاد التونسية.

كتبه / أيوب بن رفيق عويّتي

دار شعبان الفهري / نابل

2016 / 09 / 03 م

مسائل الأداء بين الاجازة والتأصيل العلمي (1)

لطالما قرعت أذناي عبارات للتخطئة وانكار بعض صور الاداء والطعن في الاسانيد بين بعض المتصدرين للاقراء في بلادنا وكل يحتج باسناده و"إجازته" وقراءته على فلان وفلان.. هذا الامر حداني ان اوضح شيئا متعلقا بالاداء والسند والاجازة. فاقول وبالله أحول = ابتداء لا يمكن ولا ينبغي لمصدر للاقراء ان يتصدى لهذا الامر الجلل الشريف دون ان يكون ملئ الوطاب من مسائل التجويد نظريا من أمهاتها واصولها ؛ قد اخذ قبل هذا فهمها وتصورا واضحا لتاريخ علم الاداء والفرق بين الاجازة في العصور المتأخرة وبين قيمتها ودلالاتها في العصور المتقدمة اي في زمان التدوين وقبله...

يتبع باذن الله

كتبه مرتجلا أيوب بن رفيق عوينتي

طريق بنزرت

04 / 09 / 2016

مسائل الأداء بين الإجازة والتأصيل العلمي (2)

قد ذكرت في منشور الامس أنّ على المتصدّر للاقراء عليه أن يكون ملماً بجملّة من العلوم والمعارف وخاصة منها ما يتعلّق بتأصيل المسائل الأدائيّة و التّصوّر الواضح لتاريخ علم الاداء والفرق بين الاجازة في العصور المتأخرة وبين قيمتها ودلالاتها في العصور المتقدمة اي في زمان التدوين وقبله. ولأزيد توضيح هذه النقطة اليوم أقول: إنّ الأداء القرآنيّ قد ابتدأ مشافهة في عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إذ كان الصّحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أهل الفصاحة والاستقامة في النطق والأداء. ثمّ في عصور التدوين في ما بعد ألفّت ودوّنت بعض المسائل في النطق والأداء في ثنايا كتب اللّغة ككتاب سيبويه والعين لشيخه الخليل بن أحمد واستمرّ الأمر الى ان افرد علم التّجويد بالتّصنيف. وبقي التدوين لهذه المسائل الى حين نهاية عصور التّأليف للكتب المسندة في القراءات وهي مرحلة فارقة فاصلة في التّعامل مع علم القراءات وأخذ الأئمّة له = إذ بانتهاء التّأليف للكتب المسندة (التي من بعضها ألف الامام بن الجزريّ كتابه النّشر) انحسر موضوع الاختيار العامّ للقراءة والاداء ... وأصبح السّند القرائيّ مرتبطاً بالسّند لأصحاب هذه الكتب المسندة المدوّنة ولم يعد السّند حجّة لوحده في اثبات وجه من اوجه القراءة او نفيه. لذلك فكلّ من يأتي بوجه من أوجه القراءة والاداء ليس منصوباً عليه في كتب أئمّتنا المتقدّمين فهو مردود عليه ولو دلّل له بمئات الاجازات وآلاف الأسانيد فالأداء القرآنيّ قد استقرّ منذ ذلكم العصر الذي حكينا.

ويقبح بكلّ متصدّر للاقراء ان يجهل هذا المبحث بتفاصيله.. بل كيف لمقرئ أن يدرّس القرآن لطلّبه وهو لا يعلم تأصيل مسائل الاداء وحججها؟ بل كيف لمجيز ان يميز طالبا للقرآن وهو لا يعلم قيمة تلك الاجازة وذلك السّند؟

كتبه / أيّوب بن رفيق عوينتي

دار شعبان الفهريّ-نابل

2016 / 09 / 06 م

قراءة القرآن بين الوفاق والشقاق

لعلّ ما أطرني للكتابة في هذا الموضوع أطرا هو ما رأيته بعيني وسمعته بأذني وبلغني من اختلاف ونزاع وقع في بعض صور الأداء بين طلبة أو بعض المتصدّرين للإقراء؛ وهو خطب جلل وشأن خطير قد وقع التحذير النبويّ منه، ففي صحيح البخاريّ ومسلم من حديث جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا اِتَّلَفْتُمْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَاقْرَءُوا عَنْهُ) هذا التوجيه النبويّ الجليل ينبغي أن يوضع نصب عيني كلّ طالب للقرآن الكريم وقراءاته وعلومه، ويجب أن يكون ديدن كلّ قارئ ومقرئ لكتاب الله عزّ وجلّ. فالقرآن الكريم ما أنزل إلينا لنختلف في أدائه ولا لتتنازع في روايته ولا ليفتخر بعضنا على بعض بعلوّ سنده أو نزوله، وإنّما أنزل ليكون هاديا لنا الى صراط مستقيم = نقرأ آياته، ونتدبّر أحكامه، ونعمل بتوجيهاته. لذلك جاء الأمر النبويّ حاسما وقاطعا بالقيام عنه حال الاختلاف في قراءته.

نعم، الاختلاف العلميّ وارد بين المتخصّصين، أمّا أن ينزل هذا الخلاف لعوامّ الناس وسائر الطلبة ويتحوّل الامر من خلاف علميّ بالحجّة والبرهان الى موالاة ومعاداة وينقسم الناس الى اتباع فلان وفلان في امور هي من فرعيّات مسائل الاداء بل قد يكون الخلاف فيها مجرد تنازع اصطلاحيّ = فهذا امر مستنكر ومردود.

وهنا نصيحتان أوجههما: أولاها لكلّ قارئ وطالب للقرآن الكريم: أقول له ما قاله الامام سيّدي ابي عبد الله محمّد بن عبد السلام الفاسي في كتابه القول الوجيز في قمع الزاري على كتاب الله العزيز: "ولو زال داع التّعنت عن القلوب، وأشعر المرء نفسه مراقبة علاّم الغيوب، وأعطى كلّ ذي حقّ حقه، ووفّى له من مستحقّه، وترك المرء، وتلفّع بالحياء، لاشتغل العاقل بحمد الله على قيام الدّين في هذا الزّمان الدّون، لأنّ حفظ القرآن ومحبّته والاكباب عليه منه، والاشتغال بدراسته تعلّما وتعلّما وعبادة منه، ..."

والثّانية أوجهها لكلّ متصدّر للإقراء فأقول: ساداتي الفضلاء وإخواني الأحباء: رغبوا الناس في حفظ القرآن وقراءته والتّبحّر في علومه ولا تجعلوا دونهم القواطع والشّروط والحواجز. فإنّنا في زمان قد كثرت فيه الصّوارف والفتن التي لا منجى منها إلّا كتاب الله والاعتصام به . وكيف يمكن

الاعتصام بكتاب صرف العامة عن حفظه ومدارسته بحجة التدقيق في التجويد والحرص على اتقان
الاداء؟ ولتتق الله جميعا ونتذكر قول الله سبحانه في سورة القمر: "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من
مدكر"

كتبه / أيوب بن رفيق عويّتي

دار شعبان الفهري - نابل

2016 / 09 / 07 م

متون التّجويد والقراءات بين الرّواية والانتفاع

إنّ الحديث عن المتون ومكانتها ودورها في تلقّي العلوم وترسيخها ليس هذا محلّها ولا يمكن جمع شتات هذا الموضوع في بضع أسطر وقليل من الكلمات، لكنّي أفرد هذا المنشور خاصّة لتحليل ونقد بعض الظواهر المعاصرة في التّعامل مع المتون المتعلّقة بعلمي التّجويد والقراءات (الجزريّة والدرر اللوامع والشاطبيّة والدّرّة والطّيبة على وجه الخصوص) فأقول:

إنّ المقصد العامّ والغاية الكبرى من وضع المتون ونظم المنظومات في شتّى العلوم الفنون هو حصر وجمع أهمّ قواعد وأصول ذلكم العلم في بضع أبيات يسهل حفظها ويتيسّر استحضارها لتكون عوناً للطّالب وسنداً له من أجل ارتقائه في العلوم وتدرّجه في مختلف الفنون ودقائق المسائل. فهي بهذا المعنى من باب الوسائل لا المقاصد، بالإضافة الى أنّها تمثّل مرحلة من مراحل الطّلب التي يتعيّن على طالب العلم المرور بها. لذلك كان تعامل أهل العلم مع المتون -وبخاصّة المنظومات- تعاملًا خاصًا يبرز ذلك خاصّة في شروح كلّ متن من المتون المشهورة = فنراهم يعتنون بضبط الألفاظ بشكل خاصّ قد يخرج عن ما ورد رواية عن ناظمها بل قد يتجاوز الأمر الى تغيير بعض الكلم في الأبيات من أجل توضيح المعنى وتبيينه؛ فنظرتهم للمنظومات العلميّة لا يتوجّه نحو ألفاظها من حيث هي كلمات بل يتعدّى ذلك الى ما تؤدّيه من المعاني وما تجمعها من المسائل والقواعد؛ لذلك تكاثر وتنوّع الضّبط لعدّة كلمات في معظم المنظومات العلميّة فمثلاً في منظومة المقدّمة في ما على قارئ القرآن أن يعلمه للامام محمّد بن الجزريّ نجد كثيراً من الاختلاف في ضبط بعض كلماتها قد أثبت في شروحها المشهورة لشرح ابنه أحمد وشرح التّاذفي والازهري والقاري .. الخ لذلك فإنّ الزام الطّالب والقارئ بضبط دون غيره أو الاقتصار على كنيّة دون غيرها في أداء المتن هو من الاجحاف والتّعسف الذي ما أنزل الله به من سلطان.

لذلك يجب على المقرئ والاستاذ ان يبين لطلابه المقصد والغاية الكلية التي من أجلها يدرس هذا
المتن وتلك المنظومة وما الذي ينبغي عليه أن يهتم به ولا يجعل غاية همه أن يلتزم بضبط الكلمات
واضاعة المعاني والدلالات ... بل قد بلغ الحال ببعضهم إلى إلزام الطالب بكيفية في قراءة المتن دون
غيره وهو من أعجب العجب !!!

كتبه / أيوب بن رفيق عوييتي

دار شعبان الفهري-نابل

2016 / 09 / 11 م

أقوال الشيوخ وآراؤهم بين الحجاج والأدب

لطالما شدتني حكايات كثير من إخواني حول علاقتهم بمشايخهم ومقرئهم؛ وكثيرا ما كنت أستغرب مواقف الأدب البارد المصطنع كما أعجب للتمشيخ المفتعل الباهت الذي يتصنعه كثير من هؤلاء الشيوخ والاساتذة هداهم الله.

وليس استغرابي وعجبي حول ما يقوم به الطالب مما يجب عليه تجاه شيخه التأدب والتوقير او حول ما يلتزم به الشيخ في بعض المواقف والاحايين من الجدّة والانضباط اللّازمين ولكنّه استغراب ينتابني من التّعصّب "والفناء" في الشيخ يصل الحال بالبعض الى تقدّيس الشّخ وإيلائه منزلة أكثر ممّا يستحقّها بل قد يصبح قوله هو الحجّة في ذلك حال الاستشهاد العلميّ؛ حتّى أنّك ان أردت محاججته في دقيقة من دقائق العلم ومسائل القراءة والاداء فأجلبت عليه بالنصوص المدعّمة لقولك من أقطاب هذا العلم وأمّهات الكتب ونفائي المخطوطات عارضك وحاججك بقول شيخه المتأخّر من غير بناء علميّ او منطقيّ بل لا يحاججك بذلك إلّا لأنّ قول شيخه -بالنسبة له- حجّة دامغة ودليل قاطع لا ينبغي الرجوع عنه. وهذا من أعجب العجب .

اعلم اخي وسيدي الفاضل الكريم أنّ مسائل العلم -وخاصّة ما يتعلّق منها بالقرآن الكريم- متشعّبة ذيولها مبسوطة بحوثها فلا ترض من البحر بالقطر ولا من الغيث بالنّزر ولا تقف في العلم حيث ما وقفت اقوال شيخك فـ(فوق كلّ ذي علم عليم) واحرص على ان تكون الحجّة مبغاك وغايتك.

ونصيحة لكافّة متصدّر للاقراء والتّعليم: ضعوا نصب أعينكم قول الحبيب صلّى الله عليه وسلّم: "من تواضع لله رفعه" وعاملوا طلبتكم على أساس الحبّ والمودّة والاخوة فلولا ذلك الطالب ما تيسّر لك انت ان ترسّخ المسائل العلميّة ولا ان تنشرها فهو سبب نلت من خلاله أجري الدنيا والآخرة.

واعلموا أنّ الطّالب للقرآن الكريم وعلومه - في تونس - يجاهد ويصابر ويضحّي بتضحيات جسام
من أجل أن يتعلّم ويرتقي في طريق حملة الكتاب فليجد عندكم سعة الصدر وراحة النّفس واجتنبوا
الشروط والقواطع ما أمكنكم ذلك وتذكروا وصية الحبيب صلى الله عليه وسلم لمن أرسلهما
لليمن: "بشّرا ولا تنفّرا..."

كتبه/ أيّوب بن رفيق عويّتي

دار شعبان الفهري-نابل

2016-09-12

حفظ القرآن: الحقيقة والادعاء

لا يخفى علينا جميعا ما لحافظ القرآن من المكانة والشرف وما أعدّه الله له ولوالديه من المنزلة وبارفعة في الآخرة كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة والسلام.

لكنّ السعي المجرد وراء هذا الفضل العميم والخير العظيم من غير سلوك مسالك الحفاظ واتباع طرائقهم بالاعتناء بالالتقان ومداومة المراجعة والتكرار قد أنتج لنا جيلا من المدّعين لحمل الكتاب الزاعمين أنّهم قد ختموه حفظا لمجرد أن قد قرؤوا ختمة على شيوخهم ومؤدّبيهم فإن أنت ذهبت تذاكرهم في آيات الكتاب تبينّت من حالهم العجب العجائب ووجدت منهم من قد هجر المراجعة وترك التكرار واتّكل على تسميته بين الناس بالقارئ والحافظ!!!

اعلم اخي الحبيب أنّ حفظ الكتاب مشروع عمر وسبيل حياة ليس له محطة ينتهي إليها. فإن وفّقت لختم كلمه حفظا فلا تظنّ أنّك بذلك بلغت غاية المنى، كلّ وألف كلّ، بل هي أولى خطواتك مع الكتاب وهي أيّامك الأولى في حياتك القرآنيّة -التي هي حياتك الحقيقيّة- فيجب أن تكون خطواتك التي تليها أعظم وأكثر وأغزر ولا تقنع بما بلغت فإنّ ترسخ آيات الكتاب في القلب والفؤاد لا يكون إلّا بإدمان المراجعة والتكرار وأن يكون الكتاب سميرك وأنيسك وصديقك وملاذك. لا تتبغى به بدلا ولا تجد في بعده راحة ولا مراحا =تقضي الساعات في تكرار آياه وترداد سورة فلات يزداد في فيك إلّا حلاوة ...

ما حداني لكتابة هذه الكلمات هو ما رأيته من تهافت الكثيرين لنيل لقب "الخاتم للقرآن" و"الحافظ" وهم لم يعدّوا العدة لذلك بل تجد للقرآن عندهم فضول الأوقات

أسأل الله سبحانه أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا انه ولي ذلك والقادر عليه

كتبه/ أيوب بن رفيق عويّتي

دار شعبان الفهري-نابل

2016 /09 /13

من سبل تطوير العمل القرآني (1)

توحيد الجهود والعمل الجماعي

لطالما تجاذبنا أطراف الحديث مع بعض الاخوة الافاضل القراء حول سبل تطوير العمل القرآني (في بلادنا خاصة) وكان دوما السؤال المحير في هذا الموضوع هو: ما هو أو ماهي أهم أسباب ضعف الانتاج القرآني الذي يقدمه بعض الافراد والهيئات كما وكيفاً؟

وكثيراً ما كان الحديث يصل إلى باب مقفل وطريق مسدود عند تناول هذا الاشكال . لكنني أحسب أنني قد هُديت إلى مفتاح هذا التساؤل المهم وجوابه ألا وهو: الأنانية والتفرد !!!
فماذا أعني بالأنانية والتفرد في العمل القرآني؟؟

إنّ ما يمكن ملاحظته في خصوص حال المنتصبين للاقراء من أفراد وهيئات -الا من رحم الله- هو أن كلا منهم ينبغي أن يكون مدرسة قائمة الذات يتخرج الطالب على يديه (او ببرناجه) تاماً من كل النواحي القرائية متضلعا في مختلف العلوم الأدائية . وهو لعمرى تصور خاطئ بين الخطأ= فان الاستاذ مهما علا كعبه في العلم وبزّ أقرانه في الحفظ والفهم ومهما جمع من علوم واتقن من فنون لن تكون إفادته للطالب في مختلف الجوانب القرائية بنفس الشكل والمستوى فهو ولا ريب سيفيده في جانب أكثر من جانب آخر فما التمام والكمال الا لله ذي الجلال ...

وإذا فُهمت هذه القضية فجِماع القول: أن تطوير العمل القرآني والاداء القرائي لن يتم دون توحيد الجهود "وتكاثر الايدي".

تخليلوا بربكم إخواني وأخواتي الأفاضل طالبا استفاد من خمسة او ستة مشايخ : شخص في الاداء وآخر في التأصيل وثالثا في الوقوف والابتداءات ورابعا .. الخ كيف سيكون تمكنه واتقانه مقارنة بآخر لم يتلق إلا على أستاذ واحد ولم يستفد من غيره.

هذا شيء مما اهتديت اليه في خصوص ذلكم التسائل .. وسأتبع الباقي في مقالات أخرى
كتبه/ أيوب بن رفيق عويّتي

دار شعبان الفهري-نابل

2016-09-14

من سبل تطوير العمل القرآني (2)

اجتناب الخلاف الفارغ وتقدير الامور قدرها

قد ذكرت بالأمس رؤيتي حول سبيل من سبل تطوير وتحسين العمل في الحقل القرآني ببلاطنا ألا وهو توحيد الجهود والحرص على العمل الجماعي.

ومقالي اليوم حول سبيل آخر من تلكم السبل حسب رؤيتي المتواضعة فأقول: إن الاختلاف العلمي والتنوع في الآراء والحجج سبيل من سبل تطوّر العلوم والمعارف وتجدها ونماء الثقافات ورقيها، لكن هذا الاختلاف عندما لا يكون بناؤه على أساس من العلم متين ولا يُعصد من الجانبين والطرفين بحبل من المودة والألفة مكين تكون عاقبته وبالا على العلم بتقهقر انتشاره وتطوره وفقده لروحه وحياته من الخشية لله والنفع للناس. لذلك فإن من أهم الأسباب الموجبة لتطور العمل القرآني في بلادنا هو البعد عن الخلافات التي لا طائل تحتها والتي ما يكون تناولها إلا من باب المخاصمة واللجاج لا المباحثة العلمية والاستفادة بالمحاجة والاحتجاج.

وقد رأينا -للأسف- خصومات بين فئام من الطلبة بل وبعض من المقرئين والأستاذين تذكّرنا بعضها -أي بعض هذه الخصومات- بحرب داحس والغبراء = كلّ يُدافع ويُناضل ويُجادل ويُحاجج عاريا عن العلم، متدثرا بالتعصب والجهل .. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

من وسائل اجتناب هذا الخلاف المشين والخصام المهيّن = تقدير الأمور والمسائل قدرها؛ وأعني بذلك أن كلّ مسألة من مسائل الأداء والعلم قد يقع فيها الخلاف ويتطرق إليها الاختلاف يجب أن توضع في نصابها ولا تصبح من الأولويات وهي في حقيقة الامر من الفرعيّات. فمثلا لا يحملنا التّشدد والتّعسف والتّعصب ان نجعل مسألة من دقائق مسائل الأداء (كالتفخيم والترقيق للغنة) مسألة ولاء وبراء وتخطئة وطعن وهمز.

كتبه / أيوب بن رفيق عويّتي

دار شعبان الفهري -نابل

15-09-2016م

اجابتي - باختصار واقتضاب - حول سؤال ورد علي بخصوص سبب الاختلاف بين المشاركة والمغاربة في الالوجه الثانية لقالون

التجويز والمنع للأوجه هذا يسمى باب "التحريرات" في القراءات وهو مبحث يتجاذبه طرفان: الرواية (أي السند) والقياس (أو الاختيار) لأنّ تفريع الأوجه وتفصيلها لم ينقل بكافته عن القارئ أو الراوي كما لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلّة القراءة بكلّ الأوجه الأدائيّة الجائزة كتثليث العارض والروم والاشمام وقفا .. الخ فمن ثمّ كان الاختلاف بين المشاركة والمغاربة في التحريرات بل هناك اختلاف بين المشاركة انفسهم والمغاربة أنفسهم في بعض الالوجه.

أيوب بن رفيق عوينتي

2016 / 05 / 13 م

سبيل حفظ القرآن

الحمد لله ذي الفضل والإنعام والعزة التي لا ترام

أمّا بعد

فكثيرا ما تصلني رسائل وطلبات عن "افضل طريقة لحفظ القرآن" "أسهل طريقة لحفظ القرآن" "ما رأيك في الطريقة الفلانية في الحفظ؟؟؟" "كيف أتقن القرآن بأسهل السبل وأقصر الأوقات" وهي والله أسئلة لا إجابة مباشرة عنها فحفظ القرآن له عمود فقريّ وهو توفيق الله سبحانه وتعالى المتأتّي من صدق الرّغبة وإخلاص النّيّة ثمّ حسنُ مصاحبة القرآن ودوام مُعاشرته ثمّ تفرّغ أعزّ الأوقات والاهتمام به خلالها ثمّ الصّبر على طريقه فإنّه طريق طويل لا ينتهي إلّا بالموت ... وخلال هذا كلّهُ إلّزام سُؤال الخالق سبحانه التّوفيق والإخلاص فالقرآن وراثته وخصيصة يخصّ بها المولى سبحانه من يشاء (ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) أمّا تتبّع الطرق والقفز بينها فلا يوصل إلى شيء إن لم يكن منبثقا عن ما ذكرنا....

2013 / 09 / 28

رسالة إلى القراء والمقرئين وطلبة القرآن بالبلاد التونسية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. أمّا بعد،
هذه رسالة ونداء كتبته لكلّ محبّ وخادم ومعتن بالقرآن في بلادنا التونسية أداءً لواجب النصّح
لكتاب الله وللمسلمين.

لا يخفى ما منّ الله به علينا في هذه السنوات الأخيرة من سبل تعلّم القرآن وتعليمه وقراءاته وإقراءه
بعد أن كانت الأبواب شبه موصدة حتّى اندرست معالم هذا العلم (أي علوم قراءة القرآن) أو
كادت.

وإنّنا نحمد الله سبحانه أن أخلفنا بعد العسر يسرا، وبعد الشدّة فرجا. فهاهي خلق القرآن تزيّن
المساجد والجمعيات وهاهي أسانيده مبثوثة ومنتشرة فغي ربوع البلاد بمختلف أصولها: التونسية
والمغربيّة والشاميّة والمصريّة والحجازيّة ... وغيرها.

لكنّ هذا الحال لا يعجب ولا يرضي شياطين الإنس والجنّ، فبدؤوا السعي بالفتنة بين "أهل القرآن"
بالتشكيك في أسانيدهم، والطعن في قراءاتهم ومشايخهم، وهمزهم ولمزهم ... وغير ذلك من
أساليب الشيطان وطرق الزور والبهتان.

وأمام هذه الهجمة والفتنة فإنّني أهيب بكلّ إخواني وأحبابي من العاملين في حقل القرآن الكريم في
هذه البلاد إلى الالتفاف حول بعضهم البعض وإلى الوحدة والتّواصل عملا بقول الله سبحانه وتعالى
(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا) [سورة آل عمران] ولنعلم جميعا أنّ الله لن ينظر إلى علوّ
أسانيدنا أو نزولها أو كثرة طلبتنا وشيوخنا بل ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا.

أعاذني الله وإياكم من الفتن ووقاني وإياكم من المحن.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

كتبه المحبّ لكتاب الله العزيز والخادم له

أيوب بن رفيق عوينتي التونسيّ

دار شعبان الفهري / نابل

صبيحة يوم الخميس 25 / 02 / 2016 الموافق: 16 جمادى الأولى 1437

حبّي الأوّل

كان أوّل لقاء جمعتني بها يوما لا ينسى، كنت يومها في سنّ السّابعة عشر مازلت ببراءة الأطفال وبساطتهم .. لكنّ لقائي بها جعلني ألج قصر الحبّ من أوسع أبوابه...
لا أدري ما شدّني نحوها = هل هو طيب ملمسها؟، أم جمال لونها القرمزيّ؟، أم بهاء مطلعها؟، أم حلاوة كلماتها النّابعة من ثغرها الجميل الباسم؟

لا يمكنني أن أتبيّن بالضبط السّبب وراء تعلّقي بها وهيامي حتّى أنّي بلغ بي الامر مبلغا كنت أردّد كلماتها في كلّ وقت وفي أيّ مكان ؛ وكأني بالنّاظر إلّيّ يحيلّ له أنّي مجنون من المجانين أو مخبول من المخابيل.

عشر سنين تمرّ بي وأنا مصاحب لها أستمتع بحديثها واتنعم بجملها الذي قد زانه الحياء...
حبيتي هي من سارت بذكرها الرّكبان واستسلم أمام بهائها فحول الرّجال = إنّها القصيدة المشهورة في اختلاف القراء السّبعة لوليّ الله الامام القاسم بن فيرّه بن خلف الرّعينيّ الشّاطبيّ الأندلسيّ (ت590هـ) المعنونة بـ "حرز الأمانى ووجه التّهاني في القراءات السّبع" والمعروفة بـ "منظومة الشّاطبيّة"

كتبه / أيّوب بن رفيق عويّتي

دار شعبان الفهرّيّ - نابل

20-09-2016

من شروط الإقراء: الدراية باب الوقوف والابتداء

إنَّ من الشَّرَفِ الأثيل والفضل الجليل أن يُرزق المرءُ بعد تعلُّم الكتاب بفرصة تعليمه فينال بذلك الخيريَّة العليا الَّتِي أخبر بها الصَّادق المصدوق عليه أفضل الصَّلَاة والسَّلَام في قوله: "خيركم من تعلَّم القرآن وعَلَّمه".

لكنَّ طالب هذا الفضل ومبتغي هذا الأجر لا بدَّ له من شروط يستكملها ومعارف يتقنها حتَّى يكون تصدُّره للإقراء عن دراية وجدارة وإفادته للطَّالِب من منطلق علم وفهم ورواية.

من أكد هذه العلوم وتلكم المعارف = باب الوقوف وهو باب عظيم النَّفع جليل القدر، قد أهمله كثير من التَّالين للكتاب فأتوا من المعاني بالعجب العجائب. وقد كان أهل العلم قديما لا يؤهَّلون الطَّالِب للإقراء والتَّدریس ولا يجوزونه بذلك إلَّا بعد تيقُّنكم من تمكُّنه في هذا الباب وأخذه مع ذلك بناصية علم الإعراب. فإذا كان علم التَّجويد والاداء به تُتَبَيَّن الأحرف وتتخلَّص من بعضها البعض الأصوات، فإنَّ علم الوقوف والابتداءات به تتجلَّى المعاني وتتَّضح الدَّلالات؛ فهو بهذا المعنى قد يفوق علم التَّجويد مكانة وأهميَّة لذلك اهتمَّ أيَّمتنا بالإشارة إليه والتَّنبيه عليه في مصنَّفاتهم التَّجويدية فقد قال الامام محمَّد بن محمَّد بن علي بن يوسف بن الجزريِّ في مقدِّمته في التَّجويد المعروفة بمتن الجزرية:

وبعد تجويدك للحروف*** لا بدَّ من معرفة الوقوف

والابتداء وهي تقسم إذن *** ثلاثة تامَّ وكاف وحسن

وعجبي من كثير من السَّادة القراء والمشايخ المقرئين حين شرحهم لمتن الجزرية أنَّهم يقفون عند قول الامام ابن الجزري في باب التَّجويد:

والأخذ بالتَّجويد حتم لازم*** من لم يجوِّد القرآن آثم

فيسطون القول ويسوِّدون الكاعد بكثرة النُّقول في وجوب التَّجويد ولزوم تصحيح الاحرف لقارئ القرآن .. الخ ؛ حتَّى إذا أتو على قوله السَّابق في باب الوقوف:

وبعد تجويدك للحروف*** لا بدَّ من معرفة الوقوف

أهملوا التنبية على خطورة هذا الباب وضرورة اتقانه بالنسبة للطالب !!!

وهاهو إمام القراء وقطبهم ومرجعهم الامام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (ت 444هـ) يقول في أرجوزته الماتعة الرائقة الرائعة = الأرجوزة المنبّهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات " مبينا أهمية إتقان هذا الباب للقارئ والمقارئ:

ومن كمال الحذق والاتقان *** معرفة الوقوف في القرآن

إلى ان قال في آخر الباب:

ولا تقف إلا على تمام *** أو حسن كاف من الكلام

وكل هذا قطبه الإعراب *** من فاته فارقه الصواب

فألزم الأشياء للقراء *** معرفة الإعراب للأداء

وفهم ما يجيء في القرآن *** من غامض يدرك بالبيان

بعد هذه الإطلالة المقتضبة اليسيرة حول أهمية الوقوف للمتصدّر للإقراء وتعليم القرآن لعلك أخي القارئ الكريم تتساءل عن سبب إهمال هذا الباب من لدن القراء؟ وعلّك ترغب في معرفة أشهر وأهم المصنّفات التي تتبّع الوقوف القرآنيّة بالبيان من ممّا خطّته أيدي أئمتنا الأوائل عليهم شأبيب الرحمة والغفران؟

هذان السّاءان سأسعى في الاجابة عنها في مقالات أخر إن يسّر الله سبحانه وتعالى

كتبه/ أيوب بن رفيق عويّتي

دار شعبان الفهري - نابل

2016/09/22 م

من سبل تطوير العمل القرآني (3)

البحث والتأصيل العلمي المجرد

لعلّ من أهمّ عوامل تطوير العمل القرآنيّ ببلادنا والدّفع به قدما نحو أعلى المراتب وأرفعها وأفضل المستويات وأجودها: اعتناء الأساتذة والمدرّسين بالتأصيل العلميّ وملئى الوطاب من علوم الأساسيّة للمقرئ قبل التصدّر للتدريس.

وهذا الامر لعمرى من أهمّ أسباب تفهقر المستوى بالنسبة لفئام من طلبة هذا العلم الشّريف. فإنّه يمكنني الجزم بأنّه على قدر تمكّن الاستاذ من نواصي العلوم المتعلّقة بالقراءة والاقراء، وتصوّره الواضح لمسائل التجويد واختلاف المشارب والمآخذ وتباين المدارس الادائيّة والقرائيّة فيها= يكون تمكّن طلابه واتقانهم ورسوخهم في العلم بل وهمّتهم في الطّلب وشغفهم في الاستزادة من علومه والتبحّر في فنونه.

فالنّظر لسير أعلام القراءة وأساتذة الإقراء في تاريخنا الاسلاميّ ليلفي الأثر البارز لتمكّن أساتذتهم وأئمّتهم ومشايخهم بحيث يمكن الجزم بأنّه أهمّ سبب من أسباب نبوغهم وهمّتهم وتمكّنهم. تنويه: لاستعراض بعض جوانب النّبوغ وسير بعض أمة القراءات يمكن الرّجوع الى موسوعة الدّكتور عبد الهادي حميتو حفظه الله المعنونة بـ: "قراءة الامام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش مقوماتها البنائيّة ومدارسها الأدائيّة الى نهاية القرن العاشر الهجري" وكذا كتاب الدّكتورة التّونسيّة العالمة هند شلبي حفظها الله "القراءات بفرقيّة من الفتح الى منتصف القرن الخامس الهجريّ" وكذا كتاب الدّكتور محمّد المختار ولد أباه الموسوم بـ: "تاريخ القراءات بالشرق والمغرب" وكذلك لا ننسى كتاب "غاية النّهاية في طبقات القراء" للامام المحقّق العلم محمّد بن الجزريّ رحمه الله.

فههنا رسالة أوجّهها لكلّ مقرئ في بلادنا الحبيبة: إن أردت فعلا التّطوير والتّحسين والرّفّع من مستوى طلبة الكتاب فدونك كتب أسلافنا ومخطوطاتهم قد عبّت بها المكتبات وامتلاّت بها الأرفف فانفض عنها غبار الاهمال، وخذها بقوة وامعن فيها النّظر وأدم فيها البحث والتنقيب

والسّهر ولا تحسب أنّك بما تعلّمت من كلمات قد قضيت من هذا الهلم الوطر ..كلّا بل الكتاب
أوسع من أن يجمع علومه انسان ولا ان يحيط بدرره كتابه بنان. بل العلم درجات يرفع الله بها بعضنا
على بعض. فمن أخلص لله سبحانه النية وشمر عن ساعد العلم وأخذ أسبابه ولم يقنع بما بلغ من
المراتب فذلك الذي يرقّيه المولى سبحانه وتعالى -بفضله وكرمه- أعلى الدّجات ويؤّؤه أرفع
المنزلات.

كتبه/ أيّوب بن رفيق عويّتي

2016-09-28م

دار شعبان الفهري/ نابل

صور من توضيحات الأئمة في سبيل القرآن

بينما تمر علينا هذه الأيام المباركة ونحن في أوطاننا وبمأمن من الغوائل والأعادي فإنها قد مرت على أئمتنا في ظروف صعبة ورؤع وخوف فلم ينشأوا عن العلم إفادة واستفادة وخاصة علوم القرآن ... ونذكر على سبيل المثال ما لاقاه إمام القراء والمحدثين في زمانه الإمام محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري في رحلته الأخيرة إلى الحج عن طريق اليمن حيث اعترضه الأعراب في ناحية عنيزة وقطعوا طريقه وسلبوه ما أعدّه من زاد حتى كاد أن يُقتل .. وبالرغم من ذلك فإنه أخرج لنا وقتها منظومته "الدرة المضيئة" المتكوّنة من 241 بيتا والمتضمّنة للخلاف بيادائي بين الائمة الثلاثة المتممين للعشرة : (أبو جعفر ويعقوب وخلف) ... وما نسي أن يُثبت ما لاقاه في منظومته فقال في آخرها:

وتم نظام الدرة احسب بعدها *** وعام أضأ حجي فأحسن تقولا
غريبة أوطان بنجد نظمها *** وعظم اشتغال البال واف وكيف لا
صددت عن البيت الحرام وزوري الـ *** مقام الشريف المصطفى أشرف الملا
وطوقني الأعراب بالليل غفلة *** فما تركوا شيئا وكدت لأقتلا
فأدركني اللطف الحفي وردني *** عنيزة حتى جاءني من تكفلا
بحملي وإيصالي لطيفة آمنة *** فيا رب بلّغني مرادي وسهلا
ومنّ بجمع الشمل واغفر ذنوبنا *** وصل على خير الأنام ومن تلا

2013 / 09 / 30

(2)

المقالات

عِلْمُ التَّجْوِيدِ بَيْنَ السَّاهِلِ وَالتَّشْدِيدِ

(مقالة دُبِّجَتْها يوم الجمعة 31 / 08 / 2012 الموافق له 13 / شوال / 1433)

1 / مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمّا بعد،

فاعلم أخي في الله أنّ المولى ﷺ خصّ هذه الأمّة بأن أرسل إليها خير رسله، وأنزل عليها خير كتبه، القرآن العظيم ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [سورة الأنبياء: 50] وتعبّدنا بتلاوته وإقامة كلماته وحروفه على أحسن وجه وأصوبه، فجعل ﷺ أجر قراءة حرف منه عشر حسنات والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم، ومعلوم أنّ هذه القراءة التي أمرنا بها، وتلكم التلاوة التي أرشدنا إليها، إنّما هي ما قاربت ووافقت قراءة النبي ﷺ. لذا فإنّ علماء الإسلام هبّو منذ العصور الإسلامية الأولى للقيام بواجب النصيحة لكتاب الله ﷻ، وذلك بنقلهم لكيفية أداء الكلمات والأحرف بل وحتى الحركات القرآنية كما تلقّوها من فيّ النبي ﷺ أو من أفواه الصحابة أو أتباعهم حتى وصلنا هذا الكتاب العظيم كما هو، سليماً من التحريف والتبديل والتزييف والتغيير.

ثم إنّ بعضاً ممن استعاض عن طريق القوم، ورغب عن سبيل الفهم، قد شدّد النكير على ما ثبت بالتواتر عن النبي ﷺ -أي علم التجويد- وزعم أنّه علم ما أنزل الله به من سلطان، ولا يقوم عليه برهان، وتغافل هذا المتخاذل عن سُنّة النبي ﷺ وهديه، وتجاهل سبيل صحابته.

وفي مقابل هؤلاء، فقد بالغ آخرون في الأخذ بهذا العلم الشّريف، فجانّبوا طريق الوسط، فأخذوا القراء بالشّدّة والتّعسير، والتّشديد والنكير، حتّى إنّ القارئ ليلبث الزّمن الطّويل في الآية لا يُجاوزها، والكلمة لا يُغادرها، قد انحسب لسانه عن نطقها، وكلّ عن التّلّفظ بها.

وهذا والله ما كان من هدي النبي ﷺ، ولا أصحابه، ولا تابعيهم من العلماء والقراء، فكما أن إنكار هذا العلم الشريف من الضلال المبين، فإن التشديد والمبالغة في التدقيق -لغير أهل الاختصاص- من الجهل بكيفية تقديم هذا العلم وتبليغه.

2/ أهمية علم التجويد ومكانته بين سائر العلوم الشرعية

من البديهي عند كل ذي عقل سليم وفكر مستقيم أن شرف أي علم إنما هو بشرف معلومه، وأن مكانته هي بمكانة ما يُبحث فيه ويفيده، ولما كان علم التجويد ذا تعلقٍ أساسيٍّ ومباشر بأفضل كلام وخير حديث -ألا وهو القرآن الكريم- كان هذا العلم الشريف إذن من أفضل العلوم الشرعية، بل هو أفضلها، فمن خلاله يُحفظ القرآن الكريم وتُصان كلماته وحروفه من التحريف والتغيير.

والنَّظر في القرآن الكريم القاصد لتدبره، العامل بقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: 82] وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَنْ أُمَرَ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد: 24] وقوله ﷻ: ﴿كَتَبْنَا الْقُرْآنَ لِتُدَّبَّرَ آيَاتُهُ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: 29]... وغيرها من الآيات الحاثّة على تدبر القرآن وفهمه، لا يمكنه أن يبلغ مأربه أو يحقق مطلبه إلا بعد المرور بهذا العلم والأخذ منه بالنصيب الوافر.

وإلا فكيف يمكن لرجل لا يُحسن قراءة كلمة -فضلا عن آية أو سورة- أن يفهمها الفهم الصحيح وأن يقف عند مُراد الله ﷻ منها؟

فالإنسان يقدر على فهم الآية أو الآيات أو السورة بعد إتقان قراءتها وترويض لسانه بنطقها ولفظها. ودليل ذلك ما روي في الصحيح من قول أبي عبد الرحمن السلمي قال: "حدّثنا الذين كانوا يُقرؤوننا القرآن منهم عثمان بن عفان وأبي بن كعب قالوا: "كان رسول الله ﷺ يُعلّمنا العشر آيات لا يتجاوزهنّ حتّى نعلم ما فيهنّ من العلم والعمل، قالوا: فتعلّمنا القرآن والعلم والعمل جميعا" ١.هـ.

واعلم -أخي في الله- أنّ الأدلّة في فضل هذا العلم والحثّ عليه، بل والموجبة لتعلّمه أكثر من أن تُحصى وأوسع من أن تُستقصى. ونحن ذاكرون شيئاً من ذلك على سبيل المثال لا الحصر.

فمن ذلك أنّ هاته الكيفيّة التجويدية التي يُقرأ بها القرآن اليوم هي ذاتها التي قرأ بها النبي ﷺ وأصحابه عند نزول القرآن الكريم، وهكذا نُقلت كابرا عن كابر.

وهذا الأمر -أي التواتر- حجة قاطعة ودليل دامغ لا يسعُ المرء إنكاره ولا معارضته إذ لو كانت القراءة بغير التجويد صحيحة أو جائزة لأجازها النبي ﷺ والعلماء والقراء ولقرأوا بها.

ومنه قول الحق ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [سورة الفرقان: 32] وقوله: ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [سورة المزمل: 4] وغيرها من الآيات الدالّة على وجوب قراءة القرآن بالتجويد، حتّى قال محقق هذا العلم الإمام محمد بن محمد بن محمد بن عليّ بن يوسف بن الجزري:

والأخذ بالتجويد حتم لازم	من لم يُجود القرآن آثم
لأنّه به الإله أنزلا	وهكذا منه إلينا وصلا
وهو أيضا حلية التلاوة	وزينة الأداء والقراءة
وهو إعطاء الحروف حقّها	من صفة لها ومُستحقّها
وردّ كلّ واحد لأصله	واللفظ في نظيره كمثله
مكمّلا من غير ما تكلف	باللطف في النطق بلا تعسف
وليس بينه وبين تركه	إلا رياضة امرئ بفكّه

3 / طريقا التّساهل والتّشديد في علم التّجويد

اعلم أيّدك الله بتوفيقه، وأعانك بتسديده، أنّه ﷻ قد منّ على هذه الأمّة أن جعلها أمّة وسطا فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [سورة البقرة: 143] فجانبّت التّطرّف في كلّ أمر، ومن ذلك الأمور العلميّة، وبالأخصّ علم التّجويد، هذا العلم المرتبط ارتباطا أساسيا بالقرآن الكريم، قد

اختلف النَّاسُ في الأخذ به، بين المتساهل والمتشدد المتعسف، ولكلا المنهجين ضرره وخطره: فمسلك التساهل في هذا العلم من شأنه فتح باب التحريف والتغيير، كما أنَّ مسلك التشدد فيه من شأنه أن يؤدي إلى الزيادة في كتاب الله أو التنفير من تعلّمه، فيضيع بذلك ما فرض الله على عباده من تعلّم كتابه وتعليمه.

والصّواب -والله أعلم- في الأخذ بهذا العلم اتباع طريق وسط بين المنهجين بالإهتمام ابتداءً بتصحيح مخارج الحروف وصفاتها التي لها عوارض وآثار في النطق، وتخليص الحركات، والحذر من خلط الحروف بعضها ببعض بالأخص عند الأحرف المتقاربة في المخرج أو الصفات.

أمّا بالنسبة لمريد تعليم هذا العلم فعليه أن يتجنّب طريق التنفير، وذلك عن طريق أخذ الطالب بالرفق، وعدم الإكثار عليه في تصحيح الأخطاء، بل ليجعل تصحيحه لأخطاء القارئ في شكل قواعد عامّة حتّى يتمكّن من اجتنابها، وليرتّب الأخطاء حسب خطورتها وأهميّتها، وجماع القول في ذلك أن يعتمد أسلوب التدرّج والرفق في التّعليم... والله أعلم.

هذا وأسأل الله ﷻ أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يرزقنا حفظ كتابه والعمل على الوجه الذي يرضيه عنا، وأن يُصليّ ويُسلم على حبيبنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مَشَتْ

من أعلام القرآن والقراءات بالبلاد التونسية

الإمام مكّي بن أبي طالب القيسي القيروانيّ

355هـ / 966م - 437هـ / 1056م

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى
التّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين. أمّا بعد؛

فمعلوم لدى القاصي والدّاني ما لعبته البلاد التّونسيّة عموماً ومنطقة القيروان خصوصاً من دور في
خدمة الإسلام، إذ كان لتلك المنطقة -أي القيروان- مذ فتحتها على يد سيّدنا عقبة بن نافع الفهريّ
رضي الله عنه أهميّة كبرى في ترسيخ معالم هذا الدّين في قلوب البربر. فلا عجب إذن أن يبرز منها
جملة من العلماء الرّاسخين والقراء المتقنين والعبّاد الزّاهدين والأولياء الصّالحين الذين كانوا لبّات
الصّرح الإسلاميّ العتيد في هذه البلاد.

ومن بين أولئك العلماء الرّاسخين، إمام سطع نجمه في القراءات وعلومها رواية ودراية وتناقلت
الرّكبان سيرته وعلومه إلى أصقاع المعمورة حتّى صار النّاس بعده عالّة على كتبه وتقاريراته.

علّمنا هو الإمام مكّي بن أبي طالب القيسيّ القيروانيّ، وسأحاول أن أتناول في هذه التّوريات
جوانب من سيرته وإنجازاته ليتّصل خلف هذه الأمّة بآثار سلفهم ويتعرّفوا على مكانة آبائهم متمثلاً
في ذلك قول الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعنا يا جرير المجامع

1 / اسمه ونسبه ولقبه:

هو الإمام أبو محمد، مكي بن أبي طالب -حمّوش⁽¹⁾- بن محمد بن مختار، القيسيّ، القيروانيّ، ثم الأندلسيّ القرطبيّ.

أمّا القيروانيّ فنسبة إلى مدينة القيروان، تلكم المدينة الواقعة بالوسط التّونسيّ والتي وُصفت بأنّها: "عاصمة إفريقيّة والمغرب الكبير بعد الفتح الإسلاميّ"⁽²⁾.

وأمّا الأندلسيّ فنسبةً إلى بلاد الأندلس -إسبانيا حالياً-.

والقرطبيّ نسبةً إلى مدينة قرطبة ببلاد الأندلس.

2 / مولده ووفاته:

وُلد في 23 من شهر شعبان سنة 355هـ عند طلوع الشّمس أو قبل طلوعها بقليل، بمدينة القيروان، وتُوفيّ رحمه الله يوم السبت لليلتين خلتا من محرّم سنة 437هـ بقرطبة.

3 / نشأته وطلبه للعلم ورحلاته في ذلك:

لا ريب أن يجد الإمام مكّي بن أبي طالب القيسيّ -بحكم نشأته في تلك المدينة العريقة القيروان- بُغيته من أهل العلم في شتّى المعارف وخاصّة القرآن وعلومه، إذ كانت تلكم المدينة كما ذكرنا "عاصمة إفريقيّة والمغرب الكبير بعد الفتح الإسلاميّ"⁽³⁾.

كانت بداية مُترجّمين مع القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، وذلك في الكتاتيب المنتشرة في ربوع البلاد، فحفظ القرآن ولم يبلغ الحُلُم. ولم يقنّع رحمه الله بما في بلاده من العلوم والمعارف، فسافر وقد بلغ من العمر 13 سنة إلى مصر وقرأ على مؤدّبيها حتّى أتقن فنّ القراءة والحساب ثمّ رجع إلى بلاده سنة 374هـ فنهل من جلّة علماؤها من أبرزهم: الإمام أبو محمّد بن أبي زيد القيروانيّ والإمام أبي الحسن

(1) حمّوش: لقب لأبيه وهو تصغير لاسم: محمّد، وذلك على طريقة المغاربة في تصغيرهم لأحمد على "حمدوش" وعلّي على "علوش" ونحو ذلك انظر كتاب: قراءة نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، للدكتور عبد الهادي حميتو، ج6/ص565.

(2) م.ن.

(3) م.ن.

القاسبي، ثم رجع إلى مصر كَرَّةً ثانيةً سنة 377هـ وذلك بعد أن أكمل القراءات بالقيروان، وحجَّ في تلك السنة، وفي طريق عودته من الحجَّ نزل بمصر فقرأ على الإمام أبي الطَّيِّب عبد المنعم بن غلبون وكان ذلك بين سنتي 378هـ و379هـ، ثم عاد إلى القيروان ولم يُكمل القراءة على أبي الطَّيِّب، ثم عاد سنة 382هـ إلى مصر فاستكمل ما بقي عليه من القراءات على الامام ابن غلبون وذلك سنة 383هـ، وعاد إلى القيروان وتصدَّر للإقراء والتدريس إلى سنة 387هـ ثم خرج إلى مكَّة وأقام بها إلى سنة 390هـ ثم قصد مصر سنة 391هـ ورحل منها إلى القيروان سنة 392هـ.

كلَّ تلك المراحل في رحلات الإمام مكِّي وصفها لنا صاحبه أبو عمر أحمد بن مهدي المقرئ ونقله لنا ابن بشكوال في كتاب "الصَّلة"⁽⁴⁾.

تُعتبر الفترة التي قضاها الإمام مكِّي في التَّجوال والتَّطواف وطلب العلم بين مصر والحجاز والقيروان ذات أهميَّة بالغة في رسوخ قدمه وطول باعه في العلوم الإسلاميَّة عموماً والقرآنيَّة خصوصاً، وسبباً رئيسيًّا في إقبال النَّاس عليه واجتماعهم وتنافسهم في النَّقل عنه -خاصَّةً وقد تشرَّف بالدراسة والرواية عن كبار الأئمَّة في تلك البلدان-، وذلك لما كان للرحلة إلى بلاد المشرق في طلب العلم من القيمة والأهميَّة عند أهل المغرب إذ كانت الرحلة العلميَّة إلى المشرق عندهم "التَّقليد العلميَّ السائد الذي لا يُعترف لأحد معه بمكانة في العلم دون أن يكون له نصيب منه قلَّ أو كثر"⁽⁵⁾.

ثمَّ ينقل لنا ابن بشكوال في "الصَّلة (ج3/ص911)" الجانب الثاني من حياة الإمام مكِّي وذلك على لسان صاحبه أبو عمر أحمد بن مهدي المقرئ: "ثمَّ قدِمَ إلى الأندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين (393هـ)، ثمَّ جلس للإقراء بجامع قرطبة، فانتفع على يديه جماعات، وجوَّدوا القرآن، وعظَّم اسمه في البلدة وجلَّ فيها قدره" ١٠هـ.

(4) كتاب الصَّلة، لابن بشكوال، ج3/ص911

(5) قراءة نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، للدكتور عبد الهادي حميتو، ج6/ص566.

"ونزل أول قدومه بقرطبة في مسجد النخيلة في الزقاقين عند باب العطارين. ثم جلس للإقراء بمسجد قرطبة الجامع فانتفع به خلق، وتخرج على يديه جماعات، ورحل الناس إليه من كل صقع من أصقاع الأندلس، وقد عظم اسمه وظهر علمه في البلاد وجل فيها قدره، فنقله الحاجب المظفر عبد الملك بن أبي عامر إلى جامع المدينة «الزاهرة» التي أحدثها حذو قرطبة فأقرأ فيها حتى انصرفت دولة آل عامر، فنقله حينئذ الأمير محمد بن هشام المهدي إلى المسجد الجامع بقرطبة فاستأنف فيه دروسه مدة الفتنة كلها إلى أن قلده أبو الحزم بن جهور الصلاة والخطبة. وبقي إماما وخطيبا به إلى أن أدركته الوفاة." (6) ا.هـ.

4 / صفاته وأخلاقه وثناء العلماء عليه:

إنّ حديثنا عن علم من أعلام إفريقية في القراءات وعلوم القرآن، قضى تلکم الرحلة الطويلة في الطلب، وما لاقاه فيها من التعب والنصب، ليبرهن لنا على تميز به هذا الإمام من دماثة الأخلاق وحسن التعامل والتخلق بأخلاق القرآن، وهو ما تناقلته كتب التراجم.

"كان - رحمه الله - خيرا فاضلا، متواضعا متدينا، مشهورا بالصلاح وإجابة الدعوة، من ذلك ما حكاه عنه أبو عبد الله الطرقي المقرئ قال: كان عندنا بقرطبة رجل فيه بعض الشدة، وكان له على الشيخ أبي محمد مكّي المقرئ تسلط، كان يدنو منه إذا خطب فيغمزه ويحصى عليه سقطاته. وكان الشيخ كثيرا ما يتلعثم ويتوقف، فجاء ذلك الرجل في بعض الجمع، وجعل يُحدّ النظر إلى الشيخ ويغمزه، فلما خرج ونزل معنا في موضعه الذي كان يُقرئ فيه قال لنا: أمّنوا على دعائي، ثم رفع يديه وقال: اللهم اكفنيه، اللهم اكفنيه، اللهم اكفنيه، فأمّنا. قال: فأقعد ذلك الرجل وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم" (7) ا.هـ.

(6) كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، لحسن حسني عبد الوهاب، ج1/ص133-134.

(7) كتاب الصلة، لابن بشكوال، ج3/ص911

قال صاحبه أبو عمر أحمد بن مهدي المقرئ : « كان مكّي بن أبي طالب من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية ، حسن الفهم والخلق ، جيّد الدين والعقل ، كثير التّأليف ، في علوم القرآن ، محسنا مجوّدا ، عالما بمعاني القراءات » ا.هـ⁽⁸⁾.

وقال الإمام الذهبيّ (ت 748هـ): "كان رحمه الله من أهل التّبحر في علوم القرآن والعربيّة، حسن الفهم والخلق، جيّد الدّين والعقل، كثير التّأليف في علوم القرآن، محسنا مجوّدا عالما بمعاني القراءات" ا.هـ⁽⁹⁾.

وقال فيه أيضا: "العلامة المقرئ .. كان من أوعية العلم مع الدّين والسّكينة والفهم"⁽¹⁰⁾

وقال الإمام العلم محمد بن محمد بن الجزريّ فيه: " إمام علامة محقّق عارف أستاذ القراء والمجودين"⁽¹¹⁾ وكتابه التّبصرة أصل من أصول كتاب النّشر لابن الجزريّ حيث يرويه بسنده إليه⁽¹²⁾.

وقال أبو زيد عبد الرّحمن الأسيديّ الدّبّاغ في ترجمته: "كان فقيها مقرّئا أديبا متفتّنا وغلب عليه حكم القرآن ... وكان معروفا بالصّلاح وإجابة الدّعوة"⁽¹³⁾ ا.هـ.

(8) م.ن

(9) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للإمام الذهبيّ ص 220.

(10) سير أعلام التّبلاء، للإمام شمس الدّين محمد بن أحمد الذهبيّ، ج 13/ص 384

(11) غاية التّهاية في طبقات القراء، للإمام محمد بن محمد بن عليّ بن يوسف بن الجزريّ، ج 2/ص 309-ترجمة 3645

(12) منهج ابن الجزري في كتابه النّشر مع تحقيق قسم الأصول، السّالم محمد محمود أحمد الشّنقيطي ، ج 1/ص 489.

(13) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، لأبي زيد عبد الرّحمن بن محمد الأنصاريّ الأسيديّ الدّبّاغ، ج 3/ص 171-172.

لقد مكّنت رحلات الإمام مكّي بن أبي طالب العديدة إلى أهمّ العواصم العلميّة في المشرق وكذا انقطاعه للعلم منذ الصّغر وشغفه بالعلم والتحصيل، مكّنته من لقاء جلّة من أهل العلم والفضل المبرّزين في شتّى المعارف، سواء في القيروان أو مصر أو الحجاز أو قرطبة ونذكر أهمّهم:

- 1- الإمام أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن عبد الرّحمن بن أبي زيد النّفزيّ القيروانيّ (ت386هـ)، الفقيه المعروف صاحب "الرّسالة" في الفقه المالكيّ، قد أخذ عنه الإمام مكّي الفقه المالكيّ خصوصاً ومن طريقه تواصل السّند إلى الإمام مالك.
- 2- الإمام أبو الحسن عليّ بن محمّد بن خلف المعافريّ المعروف بالقاسبيّ (ت403هـ)، الفقيه المالكيّ والمقرئ المشهور، أفاد منه في القراءة والحديث.
- 3- الإمام أبو الطيّب عبد المنعم بن غلبون الحلبيّ (ت389هـ)، المقرئ المشهور، وقرأ عليه بمصر القراءات.
- 4- الإمام محمّد بن جعفر التّميميّ المعروف بابن القزّاز (ت412هـ)، نحويّ متضلعّ من أهل القيروان، أفاد منه مترجمنا في اللّغة وعلومها كثيراً.
- 5- الإمام طاهر بن عبد المنعم بن غلبون (ت399هـ)، المقرئ المعروف وصاحب كتاب: "التّذكرة في القراءات الثّمان"، قرأ عليه القراءات.
- 6- الإمام أبو بكر محمّد بن عليّ الأذفويّ (ت388هـ)، المقرئ النّحويّ، قرأ عليه الإمام مكّي في علوم العربيّة وروى عنه كتب الإمام أبي جعفر النّحاس التي قد اختصّ بها.

(14) انظر ذلك في: كتاب العمر في المصنّفات والمؤلّفين التّونسيّين، لحسن حسني عبد الوهّاب، ج1/ص134 وكتاب الصّلة، لابن بشكوال، ج3/ص911 وقراءة نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، للدكتور عبد الهادي حميتو، ج6/ص572-581 والقراءات بإفريقيّة من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري، للدكتورة هند شلبي، ص341-343 ومعرفة القراء الكبار على الطّبقات والأعصار، للإمام الذّهبيّ ص220 و غاية الثّهاية في طبقات القراء، للإمام محمّد بن محمّد بن عليّ بن يوسف بن الجزريّ، ج2/ص309-3645 وترجمة 3645 وطبقات القراء والمقرئين بإفريقيّة وتونس (من الفتح الإسلامي إلى نهاية عام 1434هـ)، للدكتور الهادي روشو، ص125.

7- المقرئ الإمام أبو عديّ عبد العزيز المصريّ المعروف بابن الإمام (ت 381هـ)، قد اختصّ برواية ورش وتفرّد بأعلى الأسانيد فيها، قرأ عليه الإمام مكّي الرواية المذكورة وأسندها في أوّل كتابه "التبصرة".

وله من الشيوخ الكثير غيرهم، لكنّ هؤلاء أهمّهم وأكثر الذين استفاد منهم.

5 / تلاميذه⁽¹⁵⁾:

لقد اشتهر الإمام مكّي بن أبي طالب القيسيّ وذاع صيته بعد تلك المدّة التي قضّاها في التّرحال بين الأقطار طالبا للعلم، وأخذته عن جلة العلماء والقراء والنّحويّين والمحدّثين في المشرق والمغرب، فتوافد عليه الطّلبة وتسابقوا للقراءة عليه والتّلمذ على يديه فكثرت تلامذته، واستفادوا من رسوخ قدمه في العلم حتّى صار منهم كبار الأعلام والعلماء والقراء في الطّبقة بعده.

وحسبنا هنا أن نذكر أهمّهم وأبرزهم:

1- ابنه محمّد (ت 414هـ).

2- سليمان بن خلف بن سعيد بن أيّوب: أبو الوليد الباجي (ت 474هـ)، الفقيه المالكيّ المعروف.

3- أبو عبد الله محمّد بن شريح الرّعينيّ الإشبيليّ (ت 476هـ)، المقرئ المشهور، صاحب كتاب: "الكافي في القراءات السّبع" (من أصول النّشر).

4- محمّد بن أحمد بن مطرف الكنانيّ (ت 454هـ)، المقرئ، المعروف بالطرقي.

⁽¹⁵⁾ انظر ذلك في: كتاب العمر في المصنّفات والمؤلّفين التّونسيّين، لحسن حسني عبد الوهّاب، ج1/ص134 وكتاب الصّلمة، لابن بشكّوال، ج3/ص911 وقراءة نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، للدّكتور عبد الهادي حميتو، ج6/ص652-674 ومعرفة القراء الكبار على الطّبقات والأعصار، للإمام الدّهبيّ ص220 وغاية النّهاية في طبقات القراء، للإمام محمّد بن محمّد بن عليّ بن يوسف بن الجزريّ، ج2/ص309-ترجمة 3645 وطبقات القراء والمقرئين بإفريقيّة وتونس (من الفتح الإسلاميّ إلى نهاية عام 1434هـ)، للدّكتور الهادي روشو، ص125 وتاريخ القراءات في المشرق والمغرب، للدّكتور محمّد المختار ولد أبّاه، ص215-216.

لقد كان للإمام مكّي بن أبي طالب القيسيّ قلما سيّالة، ومشاركة في عدّة علوم على غرار علم القراءات الذي كان له الاهتمام الأكبر عنده. فكثرت تصانيفه وتنوّعت بين الرّسائل الصّغيرة والكتب المتوسطة والأجزاء الكثيرة حتّى بلغ بها بعض المترجمين المائة عنوان... ويكفي هنا أن نذكر أهمّها:

- 1- "الهداية إلى بلوغ النّهاية" كتاب ضخّم في تفسير القرآن العظيم، ضمّنه نكتا في التّفسير ولطائف عزيزة، وطُبع أخيرا محقّقا تحقيقا علميّا في ثلاثة عشر مجلّدا (13 مجلّد: أكثر من 9000 صفحة) وذلك بمركز البحوث والدراسات التابع لجامعة الشّارقة.
- 2- "التّبصرة في القراءات السّبع"، هو أشهر كتبه إذ قد عوّل الكثيرون عليه في الإقراء بالمشرق والمغرب حتّى اعتمده ابن الجزريّ من أصول كتابه النّشر. طُبع في مجلّد ضخّم.
- 3- "الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها"، طبع بتحقيق الدكتور محي الدّين رمضان في مجلّدين، وهو كتاب في باب توجيه القراءات السّبع أصولا وفرشا، وقد ألّفه لتعليل ما ذكره من القراءات في كتابه "التّبصرة".
- 4- "الإبانة عن معاني القراءات" وقد ذكر فيه رحمه الله مهمّات من المسائل في علم القراءات كمعاني الأحرف السّبعة وأسباب اختلاف القراءات ونحو ذلك. وقد في جزء لطيف.
- 5- "الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها" طُبع بتحقيق الدّكتور

(16) انظر ذلك في: كتاب العمر في المصنّفات والمؤلّفين التّونسيّين، لحسن حسني عبد الوهّاب، ج1/ص135-152 وكتاب الصّلة، لابن بشكوال، ج3/ص911 ومعجم المؤلّفين، لعمر رضا كحالة، ج3/ص908 والأعلام للزّركلي، ج7/ص286 وقراءة نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، للدّكتور عبد الهادي حميتو، ج6/ص620-642 والقراءات بإفريقيّة من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري، للدّكتورة هند شلبي، ص344-348 ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للإمام الدّهبيّ ص220 وغاية التّهاية في طبقات القراء، للإمام محمّد بن محمّد بن عليّ بن يوسف بن الجزريّ، ج2/ص309 وما بعدها-ترجمة 3645 وطبقات القراء والمقرئين بإفريقيّة وتونس (من الفتح الإسلامي إلى نهاية عام 1434هـ)، للدّكتور الهادي روشو، ص126 وتاريخ القراءات في المشرق والمغرب، للدّكتور محمّد المختار ولد أباه، 199-214.

أحمد حسن فرحات في حجم متوسط. وهو كتاب في علم التجويد وما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه من المسائل قبل القراءة ويعتبر هذا الكتاب من الأهمية بمكان نظرا لما اتسم به من التحرير والتدقيق وما تميّز به مؤلفه من التّصّلح في هذا العلم.

خاتمة

تلك هي أهم المراحل التي قصدنا الوقوف عليها في حياة هذا العَلَم من أعلام بلادنا المباركة. وإنّه لحريّ بنا -ونحن أحفاد أولئك الأئمّة- أن نسعى في تلمّس سيرهم واقتفاء أثرهم والتّعريف بهم وبمآثرهم قياما بحقّهم علينا واستنهاظا لهممنا وعزائمنّا. والله حسبنا ونعم الوكيل.

كتبه / أيّوب بن رفيق عويّتي التّونسيّ

دار شعبان الفهريّ / نابل

يوم الإثنين 06 / 01 / 2014 م

الموافق لـ: 06 / ربيع الأوّل / 1435 هـ

بسم الله

جوانب الإبداع في حياة الإمام

مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني

355هـ / 966م - 437هـ / 1056م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أمّا بعد؛

فمعلوم لدى القاصي والداني ما لعبته البلاد التونسية عموماً ومنطقة القيروان خصوصاً من دور في خدمة الإسلام، إذ كان لتلك المنطقة -أي القيروان- مذ فتحتها على يد سيّدنا عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه أهميّة كبرى في ترسيخ معالم هذا الدين في قلوب البربر. فلا عجب إذن أن يبرز منها جملة من العلماء الراسخين والقراء المتقنين والعبّاد الزاهدين والأولياء الصالحين الذين كانوا لبنات الصرح الإسلاميّ العتيد في هذه البلاد.

ومن بين أولئك العلماء الراسخين، إمام سطع نجمه في القراءات وعلومها رواية ودراية وتناقلت الركبان سيرته وعلومه إلى أصقاع المعمورة حتّى صار الناس بعده عالة على كتبه وتقاريراته.

علّمنا هو الإمام مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني، هذا الإمام الذي اشتهرت مؤلفاته المتخصّصة في التجويد والقراءات والتفسير واللغة حتّى غدت مرجعاً لا يستغني عنه كلّ طالب وباحث وعالم، بل قد أصبحت اختياراته في التجويد والقراءات مقدّمة عند أهل الفن حتّى غدت نصّاً بذاتها حال الاستدلال والاحتجاج.

فماهي جوانب الابداع في حياة هذا العلم؟ وماهي مظاهر التّميّز وعلامات النبوغ في مسيرة هذا الإمام متعلّماً ومعلّماً؟

هذه الأسئلة المهمّة سنحاول تناوّلها وبحثها في هذا المقال المشتمل على مقدّمة وثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأوّل : جوانب الإبداع في حياة الإمام مكّي الدّراسيّة

إنّ النّباهة والإبداع في حياة أيّ إمام من الأئمّة ليست وليدة لحظتها او بنت ساعتها، بل لها علامات وإرهاصات تبرز منذ سنواته الأولى في الطّلب والاختلاف إلى الأساتذة والمشايع وتُنمّي طيلة فترة الطّلب.

وما كان الإمام التّونسيّ مكّي بن أبي طالب القيسيّ القيروانيّ بمعزل عن هذه القاعدة الكونيّة والسّنة الإلهيّة، بل قد كانت حياته التي قضاها طالبا ومتعلّماً حافلة بمظاهر الإبداع وعلامات النبوغ والتّميّز، فمن ذلك:

1/ توجّهه لطلب العلم منذ نعومة أظفاره:

لقد كانت منظومة التّعليم في القيروان تشهد من التّطوّر أمراً عظيماً خصوصاً في حياة الإمام مكّي؛ فقد كانت الكتاتيب منتشرة بكثرة في ربوع المدينة، بل كان تعليم الصّبيان "عادة اجتماعيّة" في البلاد الإفريقيّة عموماً والقيروانيّة خصوصاً؛ لهم فيها تقاليد خاصّة وأساليب معلومة⁽¹⁷⁾.

فلا عجب إذن أن يبدأ الإمام مكّي القيروانيّ مسيرته العلميّة بحفظ القرآن في أحد الكتاتيب المبنوثة في القيروان إلى أن أمّمه وهو لم يبلغ الثالثة عشر من العمر.

والقرآن على حدّ تعبير الإمام المؤرّخ ابن خلدون هو: "أصل التّعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات وسبب ذلك أنّ تعليم الصّغير أشدّ رسوخاً وهو أصل لما بعده لأنّ السّابق الأوّل للقلوب كالأساس للملكات"⁽¹⁸⁾

انظر تفصيل أساليب تعليم الصبيان عند أهل افريقية والمغرب والاندلس في كتاب "آداب المعلّمين" لمحمد بن سحنون طبع دار⁽¹⁷⁾ بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع- تونس، وكتاب "الرسالة المفصلة لأحوال المتعلّمين وأحكام المعلّمين والمتعلّمين" لأبي الحسن القابسي طبع الشركة التونسية للتوزيع- تونس، و"مقدمة ابن خلدون" طبع دار العودة - بيروت ص447-449.

2 / رحلاته العلميّة الكثيرة:

لم يَقْنَع الإمام مَكِّي بن أبي طالب القيسيّ بما في بلاده من العلوم والمعارف، فسافر وقد بلغ من العمر ثلاثة عشر سنة (أي في سنة 368 هـ) إلى مصر وقرأ على مؤدّبيها حتّى أتقن فنّ القراءة والحساب ثمّ رجع إلى بلاده سنة 374 هـ فنهل من جِلّة علّماؤها من أبرزهم: الإمام أبو محمّد بن أبي زيد القيروانيّ (ت 386 هـ) والإمام أبي الحسن القاسبي (ت 403 هـ)، ثمّ رجع إلى مصر كرّةً ثانيةً سنة 377 هـ وذلك بعد أن أكمل القراءات بالقيروان، وحجّ في تلك السّنة، وفي طريق عودته من الحجّ نزل بمصر فقرأ على الإمام أبي الطيّب عبد المنعم بن غلبون (ت 389 هـ) وكان ذلك بين سنتي 378 هـ و379 هـ، ثمّ عاد إلى القيروان ولم يُكمل القراءة على أبي الطيّب، ثمّ عاد سنة 382 هـ إلى مصر فاستكمل ما بقي عليه من القراءات على الإمام ابن غلبون وذلك سنة 383 هـ، وعاد إلى القيروان وتصدّر للإقراء والتّدريس إلى سنة 387 هـ ثمّ خرج إلى مكّة وأقام بها إلى سنة 390 هـ ثمّ قصد مصر سنة 391 هـ ورحل منها إلى القيروان سنة 392 هـ.

كلّ تلك المراحل في رحلات الإمام مَكِّي وصفها لنا صاحبه أبو عمر أحمد بن مهدي المقرئ ونقله لنا ابن بشكوال في كتاب "الصّلة"⁽¹⁹⁾.

لقد كان لهذه الرّحلات العلميّة العديدة والكثيرة دور بارز في صقل الشّخصيّة العلميّة لهذا الإمام الفذّ خاصّة وقد تميّز بحسن الفهم وحّدّة ذكاء وسرعة بديهة مع صغر سنّه وتوسّع محفوظه.

3 / كثرة مروياته وإجازاته وتنوّعها:

مكّنت الرّحلات الكثيرة للإمام مَكِّي ولقاؤه المشيخته من مختلف الأمصار العلميّة طيلة تلكم الرّحلات من توسيع أفق روايته وعُلوّ شأن محفوظه وإجازاته التي شملت مختلف العلوم والفنون.

فمثلا في علم القراءات ورواية حروفها نجده قد نال من الأسانيد أجودها، ومن الطّرق أعلاها وأنفسها؛ وهانحن نلمحه في إحدى مقدّمات كتبه المسندة في القراءات يشير إلى هذا المعنى حيث

"مقدمة ابن خلدون" طبع دار العودة - بيروت ص 447-449. (18)

كتاب الصّلة، لابن بشكوال، ج 3/ص 911 (19)

يقول في كتابه "التبصرة في القراءات السبع" : "اعلم أنّ لاتّصال قراءتي بهؤلاء الأئمة السبعة طرقا كثيرة يطول ذكرها عن غير واحد من القراء رواية وقراءة وأنا أقصر في هذا الكتاب على أقرب الطريق ممّا قرأت بأكثره ورويته، وأكثره عن أبي الطيّب رحمه الله"⁽²⁰⁾.

وكثرة رواياته وتنوعها فرع عن المظهر الرابع من مظاهر ابداعه وجوانب نبوغه في حياته طالبا وتلميذا:

4/ كثرة مشيخته من المبرزين والمشهورين:

لا شك أنّ أهمّ دور في مسيرة التكوين للطالب يلعبه الأستاذ؛ لذلك كان نبوغ الشيخ وعلو كعبه مظهرا من مظاهر نبوغ الطالب المتخرج عليه وإبداعه.

ولقد مكّنت رحلات الإمام مكّي بن أبي طالب العديدة إلى أهمّ العواصم العلميّة في المشرق وكذا انقطاعه للعلم منذ الصّغر وشغفه بالعلم والتحصيل، مكّنته من لقاء جلة من أهل العلم والفضل المبرزين في شتى العلوم والمعارف، سواء في القيروان أو مصر أو الحجاز أو قرطبة ونذكر أهمّهم وأشهرهم⁽²¹⁾:

8- الإمام أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن عبد الرحمن بن أبي زيد النّفريّ القيروانيّ (ت386هـ)،
الفقيه المعروف صاحب "الرّسالة" في الفقه المالكيّ، قد أخذ عنه الإمام مكّي الفقه
المالكيّ خصوصا ومن طريقه تواصل السّند إلى الإمام مالك.

كتاب التبصرة في القراءات السبع للإمام مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: الدكتور محمد غوث الندوي، نشر وتوزيع: الدار⁽²⁰⁾ السلفية بالهند ص196.

انظر تفصيل شيوخه وتلاميذه في : كتاب العمر في المصنّفات والمؤلّفين التونسيين، لحسن حسني عبد الوهاب، ج1/ص134 و⁽²¹⁾ كتاب الصلاة، لابن بشكوال، ج3/ص911 و قراءة نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، للدكتور عبد الهادي حميتو، ج6/ص572-581 والقراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري، للدكتورة هند شلي، ص341-343 ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للإمام الذهبي ص220 و غاية النّهاية في طبقات القراء، للإمام محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، ج2/ص309-ترجمة 3645 وطبقات القراء والمقرئين بإفريقية وتونس (من الفتح الإسلامي إلى نهاية عام 1434هـ)، للدكتور الهادي روشو، ص125.

- 9- الإمام أبو الحسن عليّ بن محمّد بن خلف المعافريّ المعروف بالقاسبيّ (ت403هـ)، الفقيه المالكيّ والمقرئ المشهور، أفاد منه في القراءة والحديث والفقه المالكيّ.
- 10- الإمام أبو الطيّب عبد المنعم بن غلبون الحلبيّ (ت389هـ)، المقرئ المشهور، وقرأ عليه بمصر القراءات.
- 11- الإمام محمّد بن جعفر التميميّ المعروف بابن القزّاز (ت412هـ)، نحويّ متضلع من أهل القيروان، أفاد منه مترجمنا في اللّغة وعلومها كثيرا.
- 12- الإمام طاهر بن عبد المنعم بن غلبون (ت399هـ)، المقرئ المعروف وصاحب كتاب: "التذكّرة في القراءات الثّمان"، قرأ عليه القراءات.
- 13- الإمام أبو بكر محمّد بن عليّ الأذفويّ (ت388هـ)، المقرئ النّحويّ، قرأ عليه الإمام مكّي في علوم العربيّة وروى عنه كتب الإمام أبي جعفر النّحاس التي قد اختصّ بها.
- 14- المقرئ الإمام أبو عديّ عبد العزيز المصريّ المعروف بابن الإمام (ت381هـ)، قد اختصّ برواية ورش وتفرّد بأعلى الأسانيد فيها، قرأ عليه الإمام مكّي الرّواية المذكورة وأسندها في أوّل كتابه "التّبصرة".
- أولئك هم أهمّ وأشهر الشّيوخ والأساتذة الذين تخرّج عليهم الإمام مكّي وروى عنهم القراءة والحديث والفقه واللّغة وتشكّلت من خلاهم شخصيّة العلميّة والتّعليميّة. وله من الشّيوخ الذين التقى بهم واستفاد غيرهم الكثير.

الفصل الثاني : جوانب الإبداع في حياة الإمام مكّي التعلّيميّة

إنّ إبداع ونبوغ الإمام مكّي بن أبي طالب القيسيّ لم يكن مقتصرًا على كونه طالبًا ومتعلّمًا، بل إنّ التّتبّع لسيرته يُبرز لنا بعض جوانب الإبداع في حياته معلّمًا وأستاذًا وإمامًا ومرّبيًا. فمن ذلك:

1/ كثرة طلبته من النّابهين والتّابّعين:

تُعتبر الفترة التي قضّاها الإمام مكّي في التّجوال والتّطواف وطلب العلم بين مصر والحجاز والقيروان ذات أهمّيّة بالغة في رسوخ قدمه وطول باعه في العلوم الإسلاميّة عموما والقرآنيّة خصوصا، وسببا رئيسيّا في إقبال النّاس عليه واجتماعهم وتنافسهم في النّقل عنه - خاصّة وقد تشرّف بالدراسة والرّواية عن كبار الأئمّة في تلك البلدان -، وذلك لما كان للرّحلة إلى بلاد المشرق في طلب العلم من القيمة والأهمّيّة عند أهل المغرب إذ كانت الرّحلة العلميّة إلى المشرق عندهم "التّقليد العلميّ السائد الذي لا يُعترف لأحد معه بمكانة في العلم دون أن يكون له نصيب منه قلّ أو كثر"⁽²²⁾.

لذلك فقد التفّ حول الإمام عشرات الطّلبة الذين كانوا في ما بعد أئمّة يُرجع إليهم وألوية في العلم يُستند عليهم. الذين ما كانوا ليلتفّوا حوله ويُمضوا زهرة أعمارهم في الطّلب على يديه - مع وجود غيره من الأساتذة والمقرّئين كالإمام الدّاني وابن شريح - لولا ما وجدوه عنده من تمكّن في العلم ونبوغ فيه، وحسن عرضٍ لمسائله وقضاياهم مع علوّ أسانيده وكثرة مروياته.

ومن أهمّ وأبرزهم الذين تتلمذوا على يديه:

5 - ابنه محمّد (ت 414هـ).

6 - سليمان بن خلف بن سعيد بن أيّوب: أبو الوليد الباجي (ت 474هـ)، الفقيه المالكيّ المعروف.

قراءة نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، للدكتور عبد الهادي حميتو، ج 6/ص 566. (22)

7- أبو عبد الله محمد بن شريح الرّعيّنيّ الإشبيليّ (ت476هـ)، المقرئ المشهور، صاحب كتاب: "الكافي في القراءات السّبع" (من أصول النّشر).

8- محمد بن أحمد بن مطرف الكنانيّ (ت454هـ)، المقرئ، المعروف بالطرقي.

2/ تصدره للإقراء في مناطق كثيرة :

إنّ التّميّز والنبوغ الذين تميّز بهما الإمام مكّي بن أبي طالب القيسيّ مكّناه من إلتفاف الطّلبة حوله واجتماعهم عليه في أيّ قطر نزله وأيّ مكان حلّه.

فهاهو ابن بشكوال ينقل لنا في كتابه "الصّلة (ج3/ ص911)" الجانب الثّاني من حياة الإمام مكّي وذلك على لسان صاحبه أبي عمر أحمد بن مهدي المقرئ: "ثمّ قدّم إلى الأندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين (393هـ)، ثمّ جلس للإقراء بجامع قرطبة، فانتفع على يديه جماعات، وجودوا القرآن، وعظّم اسمه في البلدة وجلّ فيها قدره" ١٠٥.

"ونزل أوّل قدومه بقرطبة في مسجد النّخيلة في الزقاقين عند باب العطارين. ثمّ جلس للإقراء بمسجد قرطبة الجامع فانتفع به خلق، وتخرّج على يديه جماعات، ورحل النّاس إليه من كلّ صقع من أصقاع الأندلس، وقد عظّم اسمه وظهر علمه في البلاد وجلّ فيها قدره، فنقله الحاجب المظفر عبد الملك بن أبي عامر إلى جامع المدينة «الزّاهرة» التي أحدثها حذو قرطبة فأقرأ فيها حتّى انصرفت دولة آل عامر، فنقله حينئذ الأمير محمد بن هشام المهديّ إلى المسجد الجامع بقرطبة فاستأنف فيه دروسه مدّة الفتنة كلّها إلى أن قلده أبو الحزم بن جهور الصّلاة والخطبة. وبقي إماماً وخطيباً به إلى أن أدركته الوفاة." ١٠٥ (٢٣).

هذا النّصّ النفيس يبيّن لنا جليّاً المكانة التي كانت للإمام مكّي عند الخاصّة والعامة والأمراء والملوك على اختلاف دُولهم؛ وما كان له أن يتبوّأ تلك المنزلة وأن يتقلّد كلّ تلك المناصب وأن يحظى بكلّ ذلك التّقدير والتّبجيل لولا بَزّه لأقرانه وبلوغه من العلم شأواً لا يُنازَعُ معه .

(23) كتاب العمر في المصنّفات والمؤلّفين التونسيّين، لحسن حسني عبد الوهاب، ج1/ ص133-134.

الفصل الثالث : جوانب الإبداع في حياة الإمام مكي التآليف

إنَّ الكُتُبَ والتَّصانيفَ الَّتِي يتركها الإنسان في مختلف المعارف والعلوم لحياته الثانية الدائمة وهي نَفْسُهُ الباقي ببقاء الدُّنيا واستمرار حركة العلم فيها.

لذلك فلا يُمكن لنا أن نتناول موضوع جوانب الإبداع في حياة الإمام مكي بن أبي طالب القيسي مقتصرين على حياته متعلِّماً وعالماً دون التعرّيج على جوانب الإبداع في حياته كاتباً ومُصنِّفاً؛ فمن تلکم الجوانب والمظاهر:

1/ كثرة تصانيفه وتآليفه:

لا يُمكن أن يُفتح لرَجُلٍ في مجال التآليف والتّصنيف فتكثر مؤلّقاته وتنوّع مواضيعها دون أن يكون نابغاً في العلم مبدعاً في طريقة تأليفه وتصنيفه. لذلك فإنّنا نبيّن جليّاً إبداع الإمام مكي بن أبي طالب القيسيّ في حياته مصنِّفاً من خلال ما تركه لنا من مؤلّقات يربو عددها على مائة عنوان، تناولت مُعظمها مواضيع عزيزة لم تُتناول قبله بالتآليف والتّصنيف، وتنوّعت مواضيعها وفنونها بين تجويد وقرآيات وتوجيه ولغة وتفسير وفهارس وتراجم.

وحسبنا هنا أن نشير إلى خمسة كتب من أهمّ مؤلّقاته الَّتِي بها اشتهر، ومن خلالها بَرَّ وظهر :

6- "الهداية إلى بلوغ النّهاية" كتاب ضخّم في تفسير القرآن العظيم، ضمّنه نكتا في التّفسير ولطائف عزيزة، وطُبِعَ أخيراً محقّقاً تحقيقاً علميّاً في ثلاثة عشر مجلّداً (13 مجلّد: أكثر من 9000 صفحة) وذلك بمركز البحوث والدراسات التابع لجامعة الشارقة، ثم طُبِعَ في دار السّلام المصريّة بالتعاون مع مؤسّسة البحوث والدراسات العلميّة المصريّة (مبدع) في عشرة مجلّدات محقّقاً في رسائل علميّة بإشراف الأستاذ الدكتور الشّاهد البوشيخي. وقد تميّز تفسيره هذا بالاختصار غير المخلّ مع الدّقّة والتّحرير والاجتهاد، فلم يكتف فيه بمجرد نقل الأقوال وعزوها وسردها بل كان ذكرها لها في بعين النّاقذ البصير والعالم الخبير الموازن بينها والمبيّن لصوابها من خطئها.

- 7- "التبصرة في القراءات السبع"، هو أشهر كتبه إذ قد عوّل الكثيرون عليه في الإقراء بالشرق والمغرب حتّى اعتمده ابن الجزريّ من أصول كتابه النّشر. طُبِعَ في مجلّد ضخم.
- 8- "الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها"، طبع بتحقيق الدكتور محي الدين رمضان في مجلّدين، وهو كتاب في باب توجيه القراءات السّبع أصولاً وفرشاً، وقد ألفه لتعليل ما ذكره من القراءات في كتابه "التبصرة".
- 9- "الإبانة عن معاني القراءات" وقد ذكر فيه رحمه الله مهمّات من المسائل في علم القراءات كمعاني الأحرف السّبعة وأسباب اختلاف القراءات ونحو ذلك. وقد في جزء لطيف.
- 10- "الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها" طُبِعَ بتحقيق الدّكتور أحمد حسن فرحات في حجم متوسط. وهو كتاب في علم التّجويد وما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه من المسائل قبل القراءة ويعتبر هذا الكتاب من الأهميّة بمكان نظراً لما اتّسم به من التّحرير والتّدقيق وما تميّز به مؤلّفه من التّضلّع في هذا العلم. ويُعتبر أوّل كتاب منشور في علم التّجويد أفرد مسائل علم التّجويد بالبحث والنّقد والتّحرير.

2/ كثرة مراجعه ومصادره في مؤلّفاته:

لا ريب أنّ مراجع المؤلّف ومصادره علامة ومظهر مبين لحقيقة رسوخه وتمكّنه في العلم، ونحن نجد الإمام مكّيّاً من المكثّرين في الرّجوع الى الكتب والمصنّفات وانتخاب نفائسها ودقائقها وصيد فوائدها وشواردها، حتّى أنّنا نجده في تفسيره الماتع القيم "الهداية إلى بلوغ النّهاية" قد تجاوزت مصادره ومراجعته الألف جزء من نفائس الكتب الأصيلّة. قال رحمه الله في مقدّمته (ج 1 / ص 64): "جمعت أكثر هذا الكتاب من كتاب شيخنا أبي بكر الأدفوي - رحمه الله - وهو الكتاب المسمّى بكتاب الاستغناء المشتمل على نحو ثلاثمائة جزء في علوم القرآن. اقتضيت في هذا الكتاب نوادره وغرائبها ومكنون علومه مع ما أضفت إلى ذلك من الكتاب الجامع في تفسير القرآن تأليف أبي جعفر الطبريّ وما تحيّرته من كتب أبي جعفر النّحاس وكتاب أبي إسحاق الرّجّاج، وتفسير ابن عبّاس،

وابن سلام. ومن كتاب الفراء، ومن غير ذلك من الكتب في علوم القرآن والتفسير والمعاني والغرائب والمشكل. انتخبته من نحو ألف جزء أو أكثر مؤلفة في علوم القرآن مشهورة مروية⁽²⁴⁾.

وبالتتبع لبعض تلك المصادر ومواضع الاستشهاد بها في كتابه نلمس إبداع الإمام رحمه الله في هذا المجال. فهو لا يقنع بالفائدة مهما كان قائلها من الرجال، بل يضعها محلّ النقد والبحث، مع حسن عرض للمسائل وسبك للأقوال، لذلك كان تفسيره مرجعا لمن بعده ومستندا لكل من رام ولوج هذا البحر الخضمّ.

الهداية إلى بلوغ النهاية، لأبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي، مجموعة رسائل علمية تحت إشراف أ.د. الشاهد البوشيخي،⁽²⁴⁾ طبع ونشر وتوزيع: دار السلام - القاهرة (ج1/ص64-65).

خاتمة

لا ريب أن يجد الإمام مكّي بن أبي طالب القيسيّ -بحكم نشأته في تلك المدينة العريقة القيروان- بُغيته من أهل العلم في شتّى المعارف وخاصة القرآن وعلومه، إذ كانت تلكم المدينة "عاصمة إفريقية والمغرب الكبير بعد الفتح الإسلامي" ⁽²⁵⁾.

وكان لهذه النشأة أثر في صقل إبداعه وشخصيته العلميّة، وبلوغه شأوا عظيما في العلم والمعرفة حتّى غدا أحد أقطاب المدرسة الأندلسيّة والمغربيّة الثلاثة في علم القراءات ولازال الناس يعتمدون رسائله ومصنّفاته مرجعا وأساسا في مختلف العلوم القرآنيّة.

وما كان له أن يبلغ هذه المنزلة أو يتبوأ تلكم المكانة لولا ما حفلت به حياته من مظاهر النّبوغ وجوانب الإبداع التي سعت هذه الدّراسة التي بين يديك -أيها القارئ الكريم- أن تبرزها وتجليّها في مختلف مراحل حياته متعلّما مُعلّما ومصنّفا.

كتبه / أيّوب بن رفيق عويّتي التّونسيّ

دار شعبان الفهريّ / ولاية: نابل -الجمهورية التّونسيّة

يوم الثلاثاء 19 / 07 / 2016 م

الموافق لـ: 14 / شوال / 1437 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قراءة نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، للدكتور عبد الهادي حميتو، ج6/ص565. ⁽²⁵⁾

الفهرس

الموضوع/ العنوان	الصفحة
توطئة	3
الخواطر	5- 39
إجازات القرآن بين شرف الاتّصال ووهم الانتقان	7
همم وهمم	9
غيث النّفع .. مجد منسيّ وعزّ مطويّ	10
من مظاهر رسوخ المدرسة التّونسيّة ودفاعها عن الحقائق العلميّة	11
من أعلام الاقراء بالمدرسة التّونسيّة (1): الإمام أبو الحسن عليّ بن عبد الغنيّ الحصريّ القيروانيّ (ت 488 هـ)	13
من أعلام الاقراء بالمدرسة التّونسيّة (2): الإمام محمّد بن سفيان القيروانيّ (ت 415 هـ)	15
من أعلام الاقراء بالمدرسة التّونسيّة (3): الإمام محمّد بن عمر بن خيرون المعافريّ (ت 306 هـ)	16
المدرسة القرائيّة التّونسيّة واختياراتها: توصيف وتعريف	17
احتفاء المدرسة التّونسيّة " المتأخّرة " بالقراءات الثلاث المتّمة للعشر	18
من أعلام الاقراء بالمدرسة التّونسيّة (4): الامام أحمد بن عمار بن أبي العبّاس أحمد التّميمي المهدوي (توفيّ بعد 440 هـ)	19
من صور التّباين بين المدرسة القرائيّة التّونسيّة المتأخّرة والمتقدّمة	20
مسائل الأداء بين الاجازة والتأصيل العلمي (1)	21

22	مسائل الأداء بين الاجازة والتأصيل العلمي (2)
23	قراءة القرآن بين الوفاق والشقاق
25	متون التجويد والقراءات بين الرواية والانتفاع
27	أقوال الشيوخ وآراؤهم بين الحجاج والأدب
29	حفظ القرآن: الحقيقة والادعاء
30	من سبل تطوير العمل القرآني (1): توحيد الجهود والعمل الجماعي
31	من سبل تطوير العمل القرآني (2): اجتناب الخلاف الفارغ وتقدير الامور قدرها
32	اجابتي - باختصار واقتضاب - حول سؤال ورد علي بخصوص سبب الاختلاف بين المشاركة والمغاربة في الواجهة الثانية لقالون
32	سبيل حفظ القرآن
33	رسالة إلى القراء والمقرئين وطلبة القرآن بالبلاد التونسية
34	حبّي الأول
35	من شروط الإقراء: الدراية بباب الوقوف والابتداء
37	من سبل تطوير العمل القرآني (3): البحث والتأصيل العلمي المجرد
39	صور من تضحيات الأئمة في سبيل القرآن
66-41	المقالات
46-43	المقالة الأولى: علم التجويد بين التسهيل والتشديد
43	1 / مقدمة

44	2/ أهمية علم التجويد ومكانته بين سائر العلوم الشرعية
45	3/ طريقا التسهيل والتشديد في علم التجويد
55-47	المقالة الثانية: من أعلام القرآن والقراءات بالبلاد التونسية الإمام مكّي بن أبي طالب القيسي القيرواني
47	مقدمة
48	اسمه ونسبه ولقبه
48	مولده ووفاته
48	نشأته وطلبه للعلم ورحلاته في ذلك
50	صفاته وأخلاقه وثناء العلماء عليه
52	شيوخه
53	تلاميذه
54	مصنفاته
55	خاتمة
66-56	المقالة الثالثة: جوانب الإبداع في حياة الإمام مكّي بن أبي طالب القيسي القيرواني
56	مقدمة
57	الفصل الأول : جوانب الإبداع في حياة الإمام مكّي الدراسية

61	الفصل الثاني : جوانب الإبداع في حياة الإمام مكّي التّعليميّة
63	الفصل الثالث : جوانب الإبداع في حياة الإمام مكّي التّأليفيّة
66	خاتمة
67	الفهرس